هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية

تقرير الشرق الأوسط رقم 131 – 12تشرين الأول/أكتوبر 2012

ترجمة من الإنجليزية

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT
CONFLICT WORLDWIDE

جدول المحتويات

الملخص التنفيذي i

I. مقدمة 1

II. التوافق مع دوغمائية متغيرة 3

آ. سورية والسلفية 3

ب. سلفيات متنوعة 4

III. تربة خصبة، محصول غير مؤكد 6

IV. انتقال المجموعات السلفية من الهامش إلى المركز 10

آ. المشهد السلفي 10

1. جبهة النصرة لأهل الشام 10

2. المجموعات السلفية الأخرى 13

3. تأثير المقاتلين الأجانب 18

4. السلفية داخل الجيش السوري الحر 20

ب. توحيد المعارضة؟ 21

1. المجالس العسكرية 22

2. تحالفات مستقلة 24

ج. قادة الرأي 28

1. ظاهرة عدنان العرعور 28

2. شخصيات سلفية أخرى 29

3. غياب الشخصيات القيادية المعتدلة 30

V. القيود التي تحد من قدرات السلفيين 31

آ. التعامل مع حركة شعبية 31

ب. نظام يعكر المياه 32

ج. دروس من الجوار؟ 32

VI. الخلاصة 35

الملاحق

آ. خارطةسورية 36

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

تقرير الشرق الأوسط رقم 131 — 12 تشرين الأول/أكتوبر 2012

هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية

الملخص التنفيذي

لقد بات وجود تيار سلفي قوي في أوساط الثوار السوريين، الذي أبرزه النظام في وقت مبكر جداً وبشكل مبالغ فيه، وأقرّت به المعارضة مترددة ومتأخرة، واقع لا سبيل إلى إنكاره. وهذا أمر مثير للقلق، إلاّ أنه يشكّل جزءاً فقط من صورة بالغة التعقيد. بداية، ليس كل السلفيين متشابهين؛ حيث أن مفهوم السلفية يغطي طيفاً واسعاً من الوسطي إلى المتطرف. ثانياً، توفّر سورية اليوم للسلفيين أرضاً خصبة تتمثل في العنف والطائفية؛ وخيبة الأمل بالغرب، ووجود قادة علمانيون وشخصيات إسلامية براغماتية؛ إضافة إلى إمكانية الوصول إلى التمويل العربي من دول الخليج وإلى الخبرات العسكرية للجهاديين. لكن هذه الأرض الخصبة تواجههم أيضاً بظروف غير مواتية، بما في ذلك وجود تراث إسلامي معتدل، وتركيبة طائفية تعددية، ومخاوف واسعة الانتشار من حرب أهلية شبيهة بتلك التي أحاقت باثنين من جيران سورية. ثالثاً، فإن إخفاق الاندفاعة العسكرية الصيف الماضي أحدث رد فعل عكسي ضد المجموعات السلفية التي استحوذت على عناوين الأخبار خلال القتال.

هذا لا يعني أنه ينبغي تجاهل الثقل السلفي. وهنا ينبغي على المعارضة أن تواجه مسؤولياتها في أن تحدّ من نفوذهم، وتوقف الانزلاق نحو الخطاب الطائفي الذي يزداد تطرفاً بشكل مستمر ووضع حد للتكتيكات الوحشية التي تمارسها. وينطبق الأمر ذاته على أطراف المجتمع الدولي الذين يسارعون إلى لوم المعارضة على تجزّئها وتحوّلها نحو التطرف، وهما الأمران اللذان تسبب عجز وضعف هذه الأطراف في تعزيزهما. طالما ظلت بلدان مختلفة ترعى مجموعات مسلحة بعينها، فإن حرباً من العروض والمزايدات ستنشأ، وأي أمل في تنسيق عمل الثوار، وإخضاعهم للانضباط وكبح جماح العناصر الأكثر تطرفاً بينهم سيتلاشى. بعبارة أخرى، فإن القضية لا تتعلق بما إذا كان ينبغي تسليحهم ـ وإذا كان الأمر كذلك، فما طبيعة ذلك التسليح ـ بل يتعلق بعقلنة وتنسيق الدعم المقدم للمعارضة من أجل التشجيع على ظهور طرف محاور متماسك، ومنظّم، ويمثل جميع أطراف المعارضة، وبالتالي يكون أكثر تأثيراً فيما سيكون، عاجلاً أو آجلاً، تسوية متفاوضاً عليها. حتى أولئك الذين يقفون مع النظام سيستفيدون من ذلك التطور إذا رغبوا برؤية المأزق العسكري المدمّر يتحول إلى حل سياسي.

منذ اليوم الأول، يتم التعامل مع مسألة السلفية في صفوف المعارضة عبر سياسة تقاذف الكرة إن جاز التعبير أكثر منها موضوعاً للنقاش الجاد. بالغ داعمو الأسد في تصوير حضورها، لقناعتهم بأن ذلك سيخيف الشرائح غير الإسلامية والأقليات في البلاد، وإخافة الغرب أيضاً، الذي ما يزال يعاني من تبعات مغامرته الفاشلة في العراق. أما منتقدو النظام فقد قللوا من شأنها في محاولتهم المحافظة على صورة الانتفاضة الناصعة؛ كما كان المتعاطفون مع قضيتهم، سواء في وسائل الإعلام أو في مواقع أخرى، غير راغبين في الخوض بعمق في هذه القضية خشية أن يكون في ذلك مصلحة للنظام. وقد كانت النتيجة النهائية قدر كبير من الضباب وقبس ضئيل من الضوء.

وهذا أمر مؤسف، ليس لأن السلفية بالضرورة سمة مركزية، ومهيمنة أو حتى دائمة في المشهد السوري. بل لأن ما من شك في وجودها، ومن المؤكد أنها تتنامى، وأنها تشكّل عامل انقسام وتؤثر بقوة في الديناميكيات الموجودة على الأرض. إنها تؤثر في رغبة بعض الأطراف بتمويل مجموعات المعارضة، وتؤثر في المواقف الشعبية، وعلى الرواية التي سيتمكن النظام من تضخيمها وعلى العلاقات بين الفصائل المسلحة. هذا التقرير، الذي يستند إلى العمل الميداني في سورية والتحليل المنهجي لما يصدر عن المجموعات المسلحة ذاتها، يسعى لإيضاح أصول، وتنامي وأثر التيارات الأصولية في المعارضة.

السلفية السورية أبعد ما تكون عن كيان منظم واحد، فهي مركبة ومتغيّرة. في الوقت الذي يطبق فيه السلفيون، نظريا ، تفسيرات حرفية للنص الديني تستند إلى سيرة الرسول والصحابة، فإن البعض يمتلك فهماً سطحياً للإسلام، ويفتقر إلى أية رؤية أيديولوجية حقيقية؛ ويسعى آخرون لاستبدال النظام العلماني بآخر إسلامي ؛ ويعتنق فريق ثالث مفهوم الجهاد العالمي الذي تعتنقه القاعدة. كما تتفاوت بشكل واسع درجات عدم التسامح حيال معتنقي الديانات الأخرى. تُبرز السابقة العراقية مدى أهمية هذه التمايزات وكيف يمكن، على سبيل المثال، للأهداف المحلية للمجموعات المسلحة الرئيسية، بما في ذلك تلك التي لها ميول سلفية، أن تتعرض للتهديد بسبب طموحات السلفيين الجهاديين.

كما أنه ليس من السهل دائماً تمييز السلفيين عن غير السلفيين؛ ففي بعض الحالات، يعكس تبني لغة السلفيين وتعابيرهم، وخطابهم ورموزهم التزاماً حقيقياً بالمثل الدينية؛ وفي حالات أخرى، يعبّر عن محاولة براغماتية للتزلف إلى المانحين المحافظين الأثرياء في الخليج. لم تطوّر معظم المجموعات المسلحة السورية حتى الآن أيديولوجية صلبة أو هيكلية قيادية؛ وثمة تذبذبات في عضوية هذه المجموعات، حيث يتحول المقاتلون من فصيل إلى أخر حسب توفر الأموال، والحصول على الأسلحة، والعلاقات الشخصية ـ بعبارة أخرى، استناداً إلى عوامل لا علاقة لها بالمعتقد.

بالطبع، لا يمكن إنكار الاختراقات الواضحة التي حققتها السلفية ـ التي كانت في البداية نزعة هامشية في أحسن الأحوال ـ منذ بداية الحركة الاحتجاجية. كما أنه ليس هناك تنازع كبير في الآراء حول الأسباب الكامنة وراء هذا التطور. لقد كانت الظروف مواتية؛ حيث كانت الانتفاضة متجذرة في فئة اجتماعية جاهزة ومفصلة على مقاس الدعاة السلفيين، وهي الطبقة الريفية الفقيرة والمسحوقة، التي هاجرت، على مدى سنوات، إلى بيئات حضرية قاسية تنزع السمة الشخصية عن الأفراد وبعيدة عن شبكات الدعم التقليدية. ونضجت الظروف مع تصاعد حدة العنف، وتلاشي الآمال بالتوصل إلى حل سريع، وإثبات التيارات البديلة (دعاة الحوار؛ المتظاهرون السلميون؛ قيادات المنفى؛ والإسلاميون الأكثر اعتدالاً) محدودية تأثيرهم، فاندفع كثيرون بشكل طبيعي إلى البدائل السلفية. لقد أدى تردد الغرب بالقيام بأي شيء في البداية ـ وتردده حتى الآن في القيام بأي عمل حاسم ـ مصحوباً بالرغبة المبكرة لعرب الخليج الأثرياء المحافظون دينياً في معظم الأحيان، بتقديم الأموال، إلى إثراء خزائن السلفيين وروايتهم، التي تبدو فيها أوروبا والولايات المتحدة كشريكين سلبيين متواطئين مع جرائم النظام.

على نطاق أوسع، فإن السلفية قدمت أجوبة لم تتمكن الأطراف الأخرى من تقديمها. وتتضمن هذه الأجوبة شكلاً مباشراً ومقبولاً من الشرعية وشعوراً بالعمل من أجل غاية سامية في وقت حافل بالمعاناة والتشوش؛ وطريقة بسيطة ومباشرة في تعريف العدو على أنه نظام غير مسلم وكافر؛ وكذلك إمكانية الحصول على التمويل والأسلحة. كما استفاد السلفيون أيضاً من تجربة مقاتليهم الذين راكموا خبراتهم في ميادين معارك أخرى؛ فتطوعوا للقتال، وبذلك تشاطروا معارفهم مع المجموعات المسلحة المحلية عديمة الخبرة. في وقت صارعت فيه مثل تلك المجموعات من أجل البقاء ضد عدو قوي وشرس واعتقدت أنها معزولة وأنه تم التخلي عنها، فإن مثل تلك المزايا التي قدمتها السلفية أحدثت اختلافاً ملموساً وفورياً. ولذلك فما من عجب في أنه بحلول كانون الثاني/يناير 2012، باتت السلفية تتبوأ ببطء مكانة أكثر بروزاً على مشهد المعارضة.

لا يمكن للنظام التهرب من حصته في تحمّل الملامة. لسنوات مضت، كان السلفيون بين أولئك الذين زعموا بأن السنة الوسطيين كانوا يواجهون تهديداً خطيراً من إيران وحلفائها الشيعة، وهو تصنيف ضموا إليه العلويين. من خلال الاعتماد المتزايد على الأجهزة الأمنية التي يطغى عليها العنصر العلوي في قمع الانتفاضة التي يطغى عليها العنصر السني، وتلقي الدعم بشكل أساسي من شريكيه الشيعيين (إيران وحزب الله)، فإن النظام قدّم الدليل على هذه الرواية الطائفية، حيث بات كثيرون من خصومه يساوون بين الصراع ضد الأسد والجهاد ضد المحتل.

رغم ذلك، سيكون من الخطأ الاستنتاج أن الميدان متاح تماماً للسلفيين؛ إذ تفخر سورية بتاريخ طويل من الممارسات الإسلامية المعتدلة؛ وقد كانت دائماً فخورة بالتعايش السلمي بين مختلف طوائفها. لقد رأى مواطنوها رأي العين التداعيات الكارثية للصراع الطائفي، حيث دمّرت الحرب الأهلية اثنين من جيرانها، لبنان أولاً، ومن ثم العراق. شخصيات رئيسية في الانتفاضة وكذلك في قاعدتها الشعبية تعتنق أيديولوجيات وأهداف متعارضة. الهجمات واسعة النطاق ضد قوات النظام في تموز/يوليو وآب/أغسطس 2012، التي اضطلعت خلالها المجموعات السلفية بدور بارز، انتهت بالفشل، ما أدى إلى تبخر بعض الإيمان الذي كان موجوداً قبل ذلك. كما أن المعارضة واعية تماماً للجوانب السلبية لحضور السلفية، حيث أن صعودها يضفي صدقية على مقولة النظام وبالتالي يبرر قمعه ويثير المخاوف لدى الداعمين الأجانب الفعليين والمحتملين. وفي حين أن السلفية قد تستنفر بعض السوريين، والمتطوعين الجهاديين والرعاة الإسلاميين الخارجيين لصالح قضيتهم، فإنها في نفس الوقت تضعف من الجاذبية الأوسع للمعارضة وتعزز قدرة النظام على تعبئة قاعدته الاجتماعية وحلفائه.

كل ذلك يضع السلفيين في الموقع غير المريح الذي يتمثل، من خلال سلوكهم وخطابهم، في تعزيز الحجة المحورية للنظام الذي يسعون للإطاحة به. كما يفسّر سبب إطلاق المعارضة الرئيسية لعدة حملات ـ غير ناجحة حتى الآن ـ لتوحيد صفوف الثوار، وتعزيز فعاليتهم الكلية أو على الأقل ضبط الآراء الأكثر تطرفاً.

كثير من الأساطير تحيط بالسلفيين في سورية. إنهم لا يمثلون تعبيراً عن الهوية الصحيحة والصادقة للمجتمع السوري؛ كما أنهم ليسوا مجرد منتج ثانوي لمؤامرات النظام؛ وليسوا ببساطة نتيجة للنفوذ المتنامي لعرب الخليج. بدلاً من ذلك، ينبغي أن يُفهموا على أنهم يشكلون إحدى الامتدادات العديدة للصراع، وأنهم جزء من الأزمة العميقة في الهوية التي أفرزها هذا الصراع. إنهم يشكلون في العديد من الأشكال الوجه الآخر لاعتناق العنف وعبادة العائلة الحاكمة التي ظهرت بين العلويين إلى درجة ملفتة. في كلتا الحالتين، فإن ظهور رؤى متشددة، وأكثر تطرفاً، لا يمكن إنكارها، إلاّ أنها ليست بالضرورة غير قابلة للعكس. إن السلفية كسبب وسمة للعيوب الراهنة للمعارضة، هي كالكثير من الأشياء في سورية، تعبير عن المأزق السياسي والعسكري الدموي الذي يبدو، في اللحظة الراهنة، أنه لن يؤدي إلى العودة إلى الوراء، كما أنه لن يؤدي إلى مخرج.

دمشق/بروكسل، 12تشرين الأول/أكتوبر 2012

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية

I. مقدمة

في الأسابيع الماضية، أصبحت العناصر الأصولية أكثر بروزاً داخل صفوف الثوار، ما أدى إلى نشوء نقاشات وأثار مخاوف بين السوريين وما بدا مناقضاً تماماً للرواية الأصلية للمعارضة. بالفعل، وطوال الأشهر الأولى للانتفاضة، فإن النشطاء القياديين بذلوا ما في وسعهم لاستعمال لغة ـ على الأرض وفي الفضاء الإلكتروني ـ مصممة لمخاطبة أوسع طيف اجتماعي ممكن. هتف المتظاهرون السلميون من أجل الحرية وحثوا على التوحّد بين الطوائف، في حين أن محاولات النظام لتصوير معارضته على أنها تتكون من متطرفين سلفيين لم تقنع العديد من المراقبين.[1]

حتى بعد أن حملت المعارضة السلاح، فإن الجهود الرامية إلى رفض الشعارات الطائفية ظلت مستمرة. في حزيران/يونيو 2011، أعلن رائد المعارضة المسلّحة، المقدم حسين هرموش، أنه وزملاءه انشقوا عن الجيش "لحماية المتظاهرين غير المسلحين الذين يطالبون بالحرية والديمقراطية"، مضيفاً: "لا للطائفية، الشعب السوري واحد".[2] ذلك التبرير ـ أن المعارضة وجدت من الضروري اللجوء إلى السلاح للدفاع عن الشعب ضد وحشية النظام لتحقيق تطلعات الشعب ـ سرعان ما تبناه المنشقون، والنشطاء والسياسيون المعارضون على حد سواء.[3] رغم الجهود الكبيرة التي بذلها النظام في البداية لتصوير خصومه الداخليين على أنهم متطرفين إسلاميين عنفيين، فإن رواد المقاومة المسلحة كانوا يستحضرون بشكل متكرر نفس القيم الوطنية والديمقراطية التي يعتنقها نظراءهم غير العنفيين.

مع استمرار حملة النظام الوحشية لقمع الانتفاضة طوال صيف عام 2011، تلاشت آمال المتظاهرين بأن المظاهرات وحدها ستؤدي للإطاحة بالنظام، ففي آب/أغسطس، أخفقت المظاهرات اليومية خلال شهر رمضان في تقويض سيطرة الحكومة على دمشق وحلب.و مع تكثيف قوات الأمن وعملاءها المدنيين الذين كانت تجندهم (المعروفون بالشبيحة)[4] من عملياتهم القمعية. تمكن النظام من إحكام قبضته على العاصمتين السياسية والاقتصادية في البلاد،و بالتالي لم يكن بالإمكان نشوء ميدان تحرير سوري.

رداً على ذلك، تنامى التأييد في أوساط النشطاء لتقليد النموذج الليبي في تغيير النظام، أي المقاومة المسلحة، المدعومة بالتدخل العسكري الغربي، الذي أدى إلى سقوط طرابلس خلال الأيام الأخيرة من رمضان.[5] بدأ النشطاء الرئيسيون الساعون للحماية المسلحة بتبني ما

[1] المصطلح "سلفي" يشير إلى المسلمين السنة الذين يعتنقون تفسيراً حرفياً للنص الديني استناداً إلى مثل السلف الصالح، والمستمد من قيادة النبي محمد والخلفاء الراشدين. لمناقشة للسلفية في السياق الاجتماعي والسياسي المعاصر، انظر Crisis Group Middle East/North Africa Report N°37 *Understanding Islamism* 2 March 2005. لمراجعة شاملة للمراحل الأولى للانتفاضة السورية، انظر تقرير الشرق الأوسط/شمال إفريقيا رقم 108، الاحتجاجات الشعبية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط (6): ثورة الشعب السوري ذات الإيقاع البطئ، 6 تموز/يوليو 2011؛ والتقرير رقم 109، الاحتجاجات الشعبية في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، (7): انتحار النظام السوري على إيقاع بطئ، 13 تموز/يوليو 2011.

[2] أُطلق الفيديو الذي يعلن انشقاق حسين هرموش في 9 حزيران/يونيو 2011، www.youtube.com/watch?v=2XeIFv1B7no. كان الهرموش بين أوائل الضباط المنشقين وأسس حركة الضباط الأحرار، في محاولة مبكرة لتنظيم المنشقين والتي انضوت لاحقاً تحت لواء الجيش السوري الحر. للمزيد، انظر Joseph Holliday "Syria's Armed Opposition," Institute for the Study of War March 2012.

[3] في تأسيسه للجيش السوري الحر في تموز/يوليو 2011، وصف العقيد رياض الأسعد مهمته بأنها تتمثل في حماية الثورة والشعب السوري، "بجميع مكوناته وطوائفه". وكان خطابه أكثر عدوانية من خطاب هرموش، محذراً الجنود الذين استمروا في القتال من أجل النظام بأنهم أهداف مشروعة، www.youtube.com/watch?v=ItzI_AIFUWg.

[4] يشير مصطلح الشبيحة في الأساس إلى ظاهرة لا علاقة لها بالانتفاضة. كان هؤلاء عبارة عن عصابات إجرامية ذات صلات بالعائلة الحاكمة ترعب الناس في الساحل السوري وتقود سيارات المرسيدس المعروفة بالشبح. أخضعهم النظام بشكل كامل في الثمانينيات، إلا أن المصطلح استمر في التداول. اليوم، يستعمل كتعبير عام لوصف ليس فقط عملاء النظام المدنيين المسلحين، بل أيضاً جنوده النظاميون ومعظم المتعاطفين المتحمسين معه. يتم تبنيه على نحو متزايد من قبل أولئك الذين استُعمل المصطلح في البداية للاستهزاء بهم، فباتوا يفخرون به.

[5] بحلول حزيران/يونيو 2011، كانت أولى المجموعات المسلحة المنظمة قد نشأت داخل المعارضة (خصوصاً في إدلب، وحماة وحمص)، وفي حزيران/يونيو وتموز/يوليو بدأ الضباط المنشقون بإطلاق مقاطع فيديو على يوتيوب يعلنون فيها عزمهم على حماية المتظاهرين السلميين ضد هجمات النظام (انظر الجزء 4 أدناه). لكن، طوال الصيف، استمر نشطاء المعارضة بالتمسك بالسلمية بوصفها إحدى السمات والقيم المميزة للثورة. بدا أن إخفاق حملة رمضان أثبتت محدودية استراتيجية الاعتماد بشكل كلي على النشاط غير العنفي. بحلول أيلول/سبتمبر، أعلن النشطاء أن، "أيام الحجارة انتهت". وأصبحت المناشدات للتدخل الأجنبي السمة الطاغية على رسائل النشطاء، وعبّر بعض داعمي المعارضة عن أملهم

يسمى بالجيش السوري الحر، وهو كيان انطلق من مجموعات معارضة مسلحة متناثرة ومتجذرة في المجتمعات التي تتعرض لقمع شديد، حيث بدأ المتطوعون المحليون والعسكريون المنشقون بالقتال ضد استعمال النظام للقوة المفرطة.[6] في نفس الوقت، خرج السوريون إلى الشوارع في مظاهرات أيام الجمعة على امتداد البلاد تحت شعار "الحماية الدولية" وتدعو إلى تأسيس منطقة حظر طيران.[7]

في الشهور التي تلت، تلاشت آمال المعارضة بحدوث تدخل عسكري غربي، حتى مع ارتفاع درجة عدوانية القوات الموالية للنظام في محاولاتها لقمع الجيوب المتكاثرة للمقاومة المسلحة. وتنامى الإحباط إزاء المجتمع الدولي بموازاة ارتفاع حصيلة القتلى المدنيين وغير المدنيين. بحلول الأسابيع الأولى من عام 2012، كانت فصائل المعارضة تناقش ما إذا كان ينبغي أن تعلن الجهاد ضد النظام – وهي وجهة نظر طالما طُرحت على المنابر الأكثر تشدداً، لكنها اعتُبرت حتى ذلك الوقت من المحظورات في أوساط المعارضة الرئيسية.[8]

تزامن هذا التحوّل مع نشوء أول مجموعتين مسلحتين سلفيتين بارزتين في الانتفاضة وهما جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، وكلاهما تعتنقان دون مواربة لغة الجهاد ودعتا إلى استبدال النظام بدولة إسلامية تقوم على المبادئ السلفية.[9]

شكّلت هذه التطورات إشارة إلى بداية مرحلة التحوّل نحو التطرف داخل المجموعات المسلحة. بحلول كانون الثاني/يناير 2012، بدأ التيار السلفي يصبح بشكل تدريجي أكثر حضوراً في المواد التي تنتجها المجموعات المسلحة وتعرضها على الإنترنت، بما في ذلك الفيديوهات، والبيانات، وصفحات فيسبوك وتعليقات تويتر. بالنظر إلى الدور المركزي الذي لعبته الاتصالات عن طريق الإنترنت في السماح للمحتجين السوريين بتعبئة وتنسيق وتسويق جهودهم، فإن هذه المواد تمثّل نافذة قيّمة للإطلال على الوضع الراهن للانتفاضة. جزء كبير من هذه المواد كان متوافراً منذ أشهر، ولكن حتى وقت قريب، فإنها لم تصل إلى وسائل الإعلام الغربية والعربية الرئيسية. وثمة تفسيرات عدة لذلك. أولاً، إن النفوذ السلفي، ورغم تناميه، استغرق وقتاً قبل أن يشكّل تحدياً جاداً للرواية التأسيسية للانتفاضة التي تقوم على حركة وطنية ثورية تركّز على الإطاحة بالنظام وجسر الفجوات بين مختلف الطوائف.[10] ثانياً، إن المعارضة، وخصوصاً شبكات النشطاء التي تقدم المعلومات والمواد التوضيحية لوسائل الإعلام، كان لديها كل المبررات لتقديم أكثر صورها إيجابية وجاذبية، نظراً لمعرفتها بالشكوك التي ستثار باستعمال الخطاب الإسلامي الواضح. ثالثاً، إن الصحفيين المتعاطفين، أو على الأقل الذين صدموا بقمع النظام، بدوا لوهلة وكأنهم يوافقون على أن التركيز على الظاهرة السلفية سيقوّض الأهداف الأوسع للانتفاضة. وأخيراً، ونظراً لأن النظام أبرز التهديد السلفي قبل ظهوره فعلاً على الأرض وبشكل يمكن تصديقه، فإن كثيرين شعروا بأن معالجة هذه القضية سيكون لمصلحة الأسد. باختصار، كان هناك خشية من أن النقاش التحليلي وغير المتحيز لدور السلفية سيتم استغلاله.

أضف إلى ذلك تحليلات وسائل الإعلام الدولية والغربية خصوصاً التي عالجت الدور السلفي داخل المعارضة المسلحة، عبر نزوعها إلى التركيز بشكل غير متناسب على المخاوف من أن القاعدة ستستغل العنف لتعزيز قضيتها،ففي شباط/فبراير 2012، تصدّر زعيم القاعدة أيمن الظواهري العناوين برسالة أطلقها عبر الفيديو تدعو المسلمين لدعم الجهاد في سورية. حينها حمل مسؤولو الاستخبارات الأمريكية مسؤولية سلسلة من التفجيرات الانتحارية الكبرى في دمشق وحلب -

بإعلان رجال الدين المحليين الجهاد. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، حمص وحرستا، أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[6] في حين ولّدت انشقاقات ضباط الجيش طوال الصيف قدراً كبيراً من الحماسة، فإن قادة النشطاء بدوا مترددين في لفت الأنظار إلى العناصر المسلحة في المعارضة خشية تأكيد مزاعم النظام بأنه يواجه تمرداً عنيفاً تشنه جماعات مسلحة، وليس انتفاضة شعبية سلمية. بدأت أكثر صفحات فيسبوك المناصرة للثورة شعبية، والتي كان لها أثر كبير في تطوير اسم وصورة الحركة الاحتجاجية، "الثورة السورية 2011" (facebook.com/Syrian.Revolution)، بدعم الجيش السوري الحر (أو أي نشاط مسلح) في تشرين الأول/أكتوبر 2011.

[7] في الأشهر التي تلت، تراجعت آمال المعارضة بأي عمل عسكري مسلّح، حتى مع تنامي عدوانية القوات الموالية للنظام في جهودها لسحق الجيوب المنتشرة للمقاومة المسلحة. وتصاعد الإحباط من انعدام فعالية المجتمع الدولي بموازاة ارتفاع حصيلة القتلى المدنيين (وغير المدنيين). مع الأسابيع الأولى من عام 2011، كانت دوائر المعارضة تناقش ما إذا كان ينبغي إعلان الجهاد ضد النظام - وهو رأي كان قد رُوِّج له ولوقت طويل من منابر أكثر تشدداً لكنه كان يعتبر حتى ذلك الحين محرماً بين أوساط المعارضة الرئيسية.

[8] طبقاً لمعظم الروايات، فإن أولى الدعوات للجهاد ظهرت في نيسان/أبريل 2011، بعد أن هاجمت قوات النظام مظاهرات في ساحة الساعة في حمص. السوريون المؤيدون للمعارضة الذين التقتهم مجموعة الأزمات حينذاك زعموا أن النظام كان وراءها وجادلوا بأنها خرجت من الجوامع التي يسيطر عليها النظام. بحلول عام 2011، باتت شعارات "الشعب يريد إعلان الجهاد!" شائعة في المعاقل الأكثر محافظة وأكثر دعماً للانتفاضة، مثل دوما في ريف دمشق. مقابلات وملاحظات لمجموعة الأزمات، حمص، دوما، الصنمين، كانون الأول/ديسمبر 2011. بدأت حملة على الإنترنت في كانون الثاني/يناير للضغط على صفحة "الثورة السورية 2011" على فيسبوك لتقديم "إعلان الجهاد" كشعار محتمل لمظاهرات يوم الجمعة 20 كانون الثاني/يناير. نشأت مناظرة حيوية بين نشطاء الإنترنت، ما دفع الصفحة لإعلان أنها لن تطرح "الجهاد" كشعار مرشّح لأنه يمكن أن يؤدي إلى الانقسام وينفّر غير المسلمين، سواء داخل أو خارج المعارضة. إلا أن ذلك لن ينهي النقاش؛ حيث أن النشطاء الذين يميلون إلى الإعلان اتهموا منظمي الصفحة بانتهاج سلوك غير ديمقراطي، وجادلوا بأن ذلك سيعزز من مكانة الجيش السوري الحر بتشجيع المتطوعين المدنيين على الانضمام إليه. انظر وسيم أموي، "الجمعة القادمة جمعة الشعب أعلن الجهاد"، Sooryoon.net 25 January 2012.

[9] لمزيد من النقاش حول أيديولوجية وتكتيكات جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، انظر الجزء الرابع أدناه.

[10] طوال الانتفاضة، سعى النشطاء القياديون بشكل مستمر لتصوير قضيتهم على أنها صراع وطني لتحرير جميع السوريين من نظام قمعي. وما تنطوي عليه هذه الرسالة هو أن الثورة ليست ذات طابع سني حصراً، ولا ثورة ضد حكم علوي. هذه الرواية مختصرة بشكل واضح ودقيق في بيان المهمة على صفحة الثورة السورية 2011 على فيسبوك، والتي تقول: "[نحن] شباب سوريون من جميع المحافظات؛ ونعمل على التنسيق بين مختلف الأطراف الفاعلة داخل الثورة من أجل تحقيق أهداف الثورة المتمثلة في الإطاحة بنظام بشار الأسد، وتأسيس دولة حرة، ومدنية، وديمقراطية تجمع كل السوريين من جميع الخلفيات العرقية والدينية، والقومية"، www.facebook.com/Syrian.Revolution/info.

والتي أعلنت جبهة النصرة المسؤولية عنها ـ لتنظيم عراقي مرتبط بالقاعدة ويعمل بأوامر من الظواهري.[11] ومنذ ذلك الحين، كُتب الكثير في الصحافة الغربية حول النشاط المزعوم للقاعدة ووجود مقاتلين أجانب يشنون الجهاد على التراب السوري.[12] غير أن السلفية ظاهرة تتجاوز القاعدة، وبالتالي فهي أكثر تعقيداً، ولهذا فإن كثيراً من الأسئلة الأكثر صلة بدورها لم تُستكشف بعد.

مع اكتساب مقاتلي المعارضة مزيداً من القوة، وتصاعُد حدة العنف وبذل الجهود الدولية لتزويد قوات المعارضة بالمعدات، فإن التوصّل إلى فهم أكثر دقة وحساسية للتيارات المختلفة في المعارضة المسلحة أمر بالغ الأهمية. قد تكون السلفية تشكل واحداً فقط من أبعادها المتعددة، إلاّ أن الطبيعة الهشة للمجتمع السوري، وتصاعد العنف الطائفي والدور الغامض لمختلف اللاعبين الدوليين تضفي عليها أهمية خاصة. بالفعل، وبسبب تسييسها الشديد والاستقطاب الذي تسببه ـ المبالغ به والمُستغَل من قبل البعض، والمخفي أو المتجاهَل من قبل آخرين ـ فإنها تستحق الدراسة المعمقة والمتأنية. هذا التقرير يستكشف المكان الذي تحتله السلفية داخل الطيف المتشدد ويعالج عوامل محورية تميّز العناصر السلفية الجهادية الأكثر تطرفاً عن نظرائها الأكثر اعتدالاً. ويستند التقرير بشكل واسع إلى مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات في سورية مع نشطاء ومقاتلي المعارضة، وكذلك على المواد الموجودة على الإنترنت والتي بُثت على التلفزيون والمنتجة من قبل طيف واسع من النشطاء، والمجموعات المتشددة والشخصيات الدينية داخل وخارج سورية.

II. التوافق مع دوغمائية متغيرة

آ. سورية والسلفية

رغم أن للسلفية جذور في حركة حداثة إسلامية إصلاحية تعود إلى القرن التاسع عشر ـ حيث كانت واحدة من عدة تيارات أيديولوجية معاصرة، مثل القومية العربية، تسعى إلى شكل من أشكال الإحياء العربي ـ فإن مصطلح "السلفية" تم تبنيه ومنذ ذلك الحين من قبل مسلمين سنة محافظين يسعون إلى تطبيق التفسيرات الحرفية للنصوص الدينية استناداً إلى مَثَل الرسول والصحابة.[13] قبل اندلاع الانتفاضات العربية عام 2011، كان المحللون بشكل عام يميّزون بين السلفيين التقليديين، الذين جعلوا من الدعوة أولوية لهم ووضعوها فوق النشاط السياسي، والسلفيين الجهاديين، وهم فرع صغير من السلفيين، على حد تعبير خبير فرنسي، يعتنقون "هجيناً من الأيديولوجيا الإسلامية مبدؤها العقائدي الأول هو عقلنة وجود وسلوك المجاهدين".[14]

نزع السلفيون التقليديون إلى دعم الحكام العرب الذين يمارسون الحكم المطلق (خصوصاً الأسرة الحاكمة في السعودية وحلفائها)، ويرفضون الديمقراطية بوصفها تعدّياً بشرياً على سلطة الله وينكرون أية محاولة للإطاحة بالمؤسسة الحاكمة ـ سواء عن طريق العنف أو بأي وسيلة أخرى ـ بوصفها انتهاكاً للشريعة الإسلامية.[15] في حين يشاطر السلفيون الجهاديون السلفيين التقليديين احترامهم للتفسير الحرفي للنص الديني الإسلامي ويرفضون الديمقراطية، فإنهم يضيفون إلى هذه النزعة المحافظة التزاماً لا غموض فيه بالجهاد العنفي ضد أعداء الإسلام المزعومين، سواء كانوا دولاً أجنبية (إسرائيل، أو الولايات المتحدة أو روسيا، على سبيل المثال)، والسلطات المحلية (معظم الأنظمة العربية، بسبب معارضتها للحكم الإسلامي أو دعمها لما يطلق عليه "حرب الغرب على الإسلام") أو ممثلي الأديان الأخرى، والملحدين و "المرتدين" (أي المسلمين المنتمين إلى مدارس فكرية أخرى).[16]

إلاّ أنه، وفي السياق الذي أحدثته الانتفاضات العربية، فإن بعض الملامح التي كانت تميّز السلفيين التقليديين بدأت بالتلاشي. بعد سنوات من التهميش السياسي، تخلى عدد من معتنقي السلفية في اليمن، وتونس، وليبيا ومصر عن معارضتهم للممارسات السياسية

[11] مسؤولون أمريكيون لم تُذكر أسماؤهم أخبروا صحفياً أن القاعدة في العراق كانت قد قامت بتفجيرات في دمشق في 23 كانون الأول/ديسمبر 2011 و 6 كانون الثاني/يناير 2012 وألمحت إلى احتمال أن تكون مسؤولة عن تفجير 10 شباط/فبراير في حلب. في وقت لاحق أعلنت جبهة النصرة مسؤوليتها عن تفجيري 6 كانون الثاني/يناير و 10 شباط/فبراير (الجزء الرابع أدناه). انظر Jonathan Landay "US officials: al-Qaeda behind Syria bombings" McClatchy Newspapers,10 February 2012. مدير الاستخبارات القومية الأمريكية جيمس كلابر قال أمام لجنة الخدمات المسلحة في مجلس الشيوخ إن التفجيرات الثلاثة كانت جميعها "تحمل علامات الهجماتالتي تشنها القاعدة"، مضيفاً أن القاعدة في العراق كانت تخترق مجموعات المعارضة السورية، ربما دون معرفة هذه المجموعات. *واشنطن بوست*، 16 شباط/فبراير 2012.

[12] انظر على سبيل المثال eg Ulrike Putz "Foreign jihadists declare war on Syria's Assad" *Spiegel Online* 30 March 2012; John Irish "Jihadists Join Aleppo Fight Eye Islamic State Surgeon Says" Reuters 8 September 2012; "Foreign fighters extremists increasingly appearing on front lines in Syria's civil war" *The Washington Post* 19 September 2012; Mary Fitzgerald "Syria's Irish fighters: 'I saw what was happening and had to do something'" *The Irish Times* 22 September 2012; Ghaith Abdul-Ahad "Syria: The foreign fighters joining the war against Bashar Al-Assad" *The Guardian* 23 September 2012.

[13] لمزيد من النقاش حول التجليات الحديثة للسلفية في أوساط الحركات السياسية والجماعات المسلحة، انظر تقرير مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 104، الإسلام الراديكالي في غزة، 29 آذار/مارس 2011.

[14] انظر Gilles Kepel *Jihad: The Trail of Political Islam* (Cambridge 2002) pp. 219-220; also Crisis Group Report *Understanding Islamism* op. cit.

[15] يتبنى السلفيون التقليديون غالباً مبدأ منع الخروج على ولي الأمر. طبقاً للمفتي السابق في السعودية، وقد كان مصدراً متكرراً للخطاب السلفي التقليدي، فإن التحدي المباشر لحاكم إسلامي سيفضي إلى الفوضى والفساد وينبغي القيام به فقط إذا ثبت ودون أي مجال للشك بأنه كافر، عبد العزيز بن باز، "المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم"، على الموقع www.assakina.com/book/5975.html.

[16] انظر Crisis Group Report *Understanding Islamism* op. cit.

الديمقراطية، وأسسوا أحزاباً للتنافس في حلبات السياسة التي فتحت حديثاً؛ ففي مصر، فاز السلفيون بحوالي 25% من مقاعد البرلمان. هذا التراجع السريع عما كان موقفاً مبدئياً محورياً يعكس تناقضاً في جوهر السلفية المعاصرة: رغم أنها تزعم "الصرامة"، وتبدو دوغمائية ومتصلبة، فهي تظهر في الواقع قدراً كبيراً ومفاجئاً من المرونة، وهو ما يمكن أن يكون ذا قيمة كبيرة في أوقات الاضطرابات والصراعات السياسية.

في سورية، منعت عوامل سياسية، واجتماعية وثقافية إمكانية نمو النزعة السلفية، على الأقل في البداية؛ فالقمع الذي مورس لوقت طويل، والذي تصاعد بعد عام 2001، منع بشكل عام نشوءها داخل المشهد الإسلامي المحلي، بشكل أكثر فاعلية مما حدث في أي مكان أخر في المنطقة.[17] تتمتع سورية بتاريخ طويل وعميق وحي من ممارسة المذاهب الإسلامية المعتدلة؛ وهي ـ رغم عدم مناقشتها في هذا التقرير ـ حاضرة بقوة داخل المعارضة. كما أن المجتمع السوري يفخر بالتعايش السلمي بين مختلف طوائفه. لقد رأى رأي العين تبعات الصراع الطائفي عندما دمرت الحرب الأهلية اثنين من جيرانه، أولاً لبنان، ومن ثم العراق. هذا علاوة على أن الإسلاميين المتشددين والعلمانيين الصارمين يمثلون أقليات صغيرة بين نشطاء ومقاتلي المعارضة ومعظمهم من المسلمين السنة الذين لا يربطهم انتماء أيديولوجي قوي.[18]

إلاّ أن المرونة المفاجئة لهذه الفئة المعروفة بتصلبها، إضافة إلى سمات هامة أخرى، تفسّر سبب اكتساب السلفية مزيداً من النفوذ وبسرعة في سورية مع انتشار العنف، رغم أنها كانت تمثل مكوناً لا يذكر على المشهد الديني السني في البلاد قبل الانتفاضة.[19] تضفي السلفية شرعية فورية ومطلقة على أولئك الذين يستحضرونها لجهة أنها تهدف إلى تتبّع سنة النبي. ويمكن التعرف على أتباعها بعلامات هامة وواضحة جداً تتمثل في اللحى بطول معين، وحلق الشوارب والأثواب التي تصل إلى أعلى الكاحل. رغم أن كبار الدعاة السلفيين عادة ما يكونون ضليعين في علوم الدين، فإن السلفية في تجسّدها الأكثر شعبية لا تتطلب أي خلفية ثقافية معينة أو أي تدريب أكاديمي، فالسلفيون الذين يعتمدون على أنفسهم يعتمدون بشكل جوهري على مجرد تكرار النصوص التأسيسية، ما يمكّن المنبوذين اجتماعيا وما يسمى بتجار الدين من الوصول إلى مكانة معينة بصرف النظر عن الثراء، أو التحصيل العلمي أو النسب.

كما تسمح السلفية بدرجة أكبر من الحرية في تعريف الأعراف الدينية مما يقدَّم في المؤسسات، والتقاليد والتفسيرات العريقة التي تفرض على المدارس الإسلامية الأخرى نوعاً من الهيكلية والقيود الصارمة. وأخيراً، فهي تستند إلى رواية تتناسب مع الاحتياجات المتولدة عن الصراع العنيف، سواء تعلّق الأمر بتعريف وتصنيف العدو؛ أو حشد الدعم من أجل الجهاد؛ أو تبرير الشهادة. بالنسبة للطبقة الدنيا المحافظة التي تنفصل هويتها الإسلامية عن النخب المحلية المكوَّنة من رجال الدين والتي تمثل العمود الفقري الاجتماعي ـ الاقتصادي للمعارضة، فإن جاذبية السلفية كانت واضحة تماماً.

الأكثر أهمية من ذلك هو أن السلفية قدّمت لهذه المجموعة إجابات لم يكن بوسع غيرها تقديمها؛ وشكلاً مباشراً وسهلاً من المشروعية والنظام المعتقدي، وكلاهما كانا حاسمين في وقت الصراع والعنف المفرط، ووسيلة بسيطة وواضحة في تعريف العدو على أنه النظام الكافر غير المسلم؛ والحصول على التمويل بفضل شبكة تمتد عميقاً إلى الخليج وطوّرت علاقات اقتصادية وثيقة مع عدد من المناطق السورية الأكثر تأثراً بالأزمة. كما استفادت السلفية من التجربة التي راكمها مقاتلوها في معارك أخرى؛ وتطوّع هؤلاء للقتال، وبذلك قدموا معارفهم وخبراتهم للمجموعات المسلحة المحلية غير الخبيرة.[20] على النقيض من ذلك، فإن القيادات الدينية التقليدية لم يكن لديها الكثير مما تطرحه، وكانت جهودها في التواصل ضعيفة؛ وبطريقة مماثلة، فإن معارضة المنفى والمجتمع الدولي باتا مصدرين للإحباط العميق.

بمرور الوقت، ومع تطور الصراع إلى حرب أهلية موسعة ، فإن حتى الشخصيات القيادية في المعارضة بدأت بترديد المخاوف التي عبّر عنها الغرب لوقت طويل من أن دور المقاتلين المتطرفين سيتنامى. في أواخر تموز/يوليو 2012، وبالإشارة إلى القاعدة وجماعات جهادية أخرى، حذّر العميد مصطفى الشيخ، رئيس المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر،[21] قائلاً: "إنهم يكبرون ويكبرون. إنهم يحصلون على مواقع أقوى داخل البلاد بمرور كل يوم. الوضع خطير جداً".[22]

ب. سلفيات متنوعة

في سياق تحليل نفوذ المجموعات السلفية، ينبغي للمرء أن يأخذ عدة عوامل بعين الاعتبار. أولاً، ينبغي الانتباه للاختلافات الكامنة ليس فقط بين المجموعات المسلحة التي تعتنق الخطاب السلفي وفصائل المعارضة الأخرى بل أيضاً بين المجموعات السلفية المختلفة نفسها. ومن بين الأسئلة الهامة في هذا السياق هو ما إذا كان المرء يعتنق

[17] Arnaud Lenfant "Les transformations du salafisme syrien au xxe siècle" in Bernard Rougier (ed.) *Qu'est-ce que le salafisme?*(Paris 2008).

[18] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، ضواحي دمشق، وجنوب ووسط سورية، 2011-2012.

[19] لدراسة وافية لهذا المشهد الديني، انظر Thomas Pierret *Baas et Islam en Syrie. La dynastie Assad face aux oulémas* (Paris 2011).

[20] وهكذا، فإن العبوات الناسفة المصنوعة يدوياً تطورت إلى شكل من أشكال الفن في أوساط الجهاديين الذين طوروها رداً على الاحتلال الأمريكي للعراق. دفع الاستعمال المتزايد من قبل قوات الاحتلال للعربات ثقيلة التصفيح أعداءهم إلى تعديل أسلحتهم، فصمموا قنابل مبتكرة يمكن لانفجارها أن يذيب، ويشكّل ويدفع مقذوفاً معدنياً قادراً على تدمير الدبابات والعربات المدرعة الأخرى.

[21] مصطفى الشيخ ضابط محترف قديم انشق في كانون الثاني/يناير 2012 وانضم إلى قيادة الجيش السوري الحر في تركيا. كان القائد الاسمي لهذا الجيش، رياض الأسعد، أدنى رتبة لكنه زعم أنه يتمتع بدرجة أكبر من الشرعية، حيث انشق في تموز الماضي. تم إنشاء المجلس العسكري الأعلى كي يعكس الرتبة الأعلى للشيخ دون أن يقوّض ذلك موقع الأسعد.

[22] انظر Mike Giglio "Syrian rebel leader Mustafa al-Sheikh says victory against Assad not in sight" The Daily Beast,26 July 2012.

مفهوم السلفية الجهادية في الجهاد العالمي (الذي تدعو إليه القاعدة) أو يهدف لاستبدال نظام الأسد بشكل إسلامي في الحكم. كما توضح الحالة العراقية بشكل جلي، فإن مثل هذه التمايزات مؤثرة ويمكن أن تكون سبب الانقسامات العنيفة داخل المعارضة. يمكن للطموحات العالمية للسلفية الجهادية أن تهدد الأهداف الأكثر محلية أو المجموعات المسلحة الرئيسية ذات الميول السلفية، ففي حين أن الأولى قد تسعى لتدمير الدولة القائمة، فإن الثانية قد تهدف فقط إلى حكمها.

ثانياً، وحتى بين المجموعات التي تقتصر أهدافها على سورية، فإن دوافعها تختلف. بالنسبة للبعض، فإن تبني الأسماء، والخطاب والرموز السلفية تعكس التزاماً صادقاً بالمُثُل السلفية؛ أما بالنسبة لآخرين، فهي تعبر عن محاولة براغماتية للتزلّف للمانحين الخليجيين الأثرياء المحافظين.[23] عبد الرزاق طلاس، القائد متوسط الرتبة، والذي يتمتع بحضور متميز في وسائل الإعلام وبشعبية كبيرة، والذي يقود كتيبة الفاروق في حمص، أثار لغطاً شعبياً في دوائر المعارضة عندما أرخى لحيته على الطريقة السلفية.[24] لكن، وطبقاً لناشط بارز من حمص، فإن القرار كان بمثابة محاولة لإرضاء مموليه الخليجيين أكثر منه تحولاً أيديولوجياً.[25] وبشكل عام، فإن التزلف إلى الممولين الخليجيين المحافظين ينعكس في مواقف وحدات الثوار؛ ففي حزيران/يونيو أصدرت مجموعة صغيرة من المقاتلين فيديو على يوتيوب تعطي فيه لوحدتها رسمياً اسم شيخ كويتي كان قد قدم الدعم لها.[26]

ثالثاً، ومنذ ظهرت أولى مجموعات المقاتلين في صيف عام 2011، تميزت الانتفاضة المسلحة بأنها تتكون من مجموعات غير مترابطة تطرأ عليها تغيرات مستمرة. لم تضع معظم المجموعات المسلحة بعد أيديولوجية صارمة لنفسها ولم تتخذ هيكلية قيادية واضحة؛ حيث يرتفع عدد الأعضاء في مختلف الفصائل وينخفض باستمرار، وينتقل المقاتلون من مجموعة إلى أخرى حسب توافر الأموال والأسلحة وحسب العلاقات الشخصية، إضافة إلى وضع قوات النظام.[27] أضف إلى ذلك أن المجموعات تتمتع بدرجات متفاوتة من الوصول إلى وسائل الإعلام التقليدية والاجتماعية، ما يؤثر في درجة وصولها إلى المراقبين خارج محيطها المباشر. في بعض الأحيان، يتم التحكم بحسابات فيسبوك والاتصال بالقنوات الإخبارية الفضائية العربية من قبل نشطاء خارج البلاد، وفي معظم الأحيان في الخليج. هذا، إضافة إلى التمويل الخارجي، يعني أن لهجة النشطاء وفصائل المقاتلين على الإنترنت تكون غالباً أكثر إسلامية (وفي بعض الأحيان أكثر سلفية) من مجموعات المعارضة الفعلية على الأرض.

جميع هذه العوامل مجتمعة تعقّد مهمة تقييم حجم، وفعالية وتماسك مجموعات الثوار.[28] نتيجة لذلك، فإن هذا التقرير يركز على المجموعات التي وثّقت تأثيرها وقوتها على الأرض على مدى فترة طويلة من الزمن، وقدّمت أدلة على المزاعم التي تطلقها على الإنترنت من خلال أشرطة الفيديو.

أخيراً، لا بد من ذكر كلمة تحذيرية حول طبيعة الجيش السوري الحر؛ ففي حين أن الصحفيين والمحللين الغربيين والعرب يشيرون إليه أحياناً كما لو كان منظمة متماسكة، فإنه في الواقع أشبه باسم أو علامة مميزة منه بقوة عسكرية موحدة. العديد من الفصائل بالكاد تنسق فيما بينها، وتتقاسم مصادر التمويل أو تبذل جهود أولية لتأسيس هيكليات سيطرة وتحكم مناطقية. بسبب ظهور بعض الشخصيات البارزة فيه على محطات التلفزيون العربية وفي الفيديوهات على يوتيوب، فإن شخصيات مثل العقيد رياض الأسعد، القائد الاسمي لهذا الجيش؛ وعبد الرزاق طلاس؛ ورئيس المجلس العسكري الأعلى مصطفى الشيخ أسهموا في ظهور مبادئ غامضة ومتغيرة يزعم الجيش السوري الحر بأنه يتبناها، والتي يمكن اختصارها في أنه يمثل المعارضة المسلحة الرئيسية؛ وأنه غير عقائدي؛ وأن قادته يتعاملون بمسؤولية مع المجتمع الدولي؛ وأنهم يعتنقون فكرة سورية ديمقراطية

---

[23] كما يمكن للعكس أن يكون صحيحاً. أحد أعضاء المجلس الثوري في حمص قال، "القائد الحقيقي لكتيبة الفاروق، وهو سلفي، ذهب إلى تركيا واجتمع بوزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون وصافحها، رغم أن السلفيين لا يصافحون النساء. وهذا أمر يثير حيرة واستغراب بعض ثوار حمص"، اتصال أجرته مجموعة الأزمات آب/أغسطس 2012.

[24] الملازم عبد الرزاق طلاس، أول ضابط ينشق علناً عن صفوف الجيش خلال الانتفاضة، أعلن قراره في 7 حزيران/يونيو 2011 في مقطع فيديو عُرض فوراً على القنوات الفضائية العربية وانتشر انتشار النار في الهشيم بين أنصار الانتفاضة على الإنترنت. في الأشهر التالية، أصبح الوجه المعروف لكتيبة الفاروق، وهي فصيل بارز للثوار مقره حمص والضواحي المحيطة بها والذي توسّع منذ ذلك الحين ليضم أعضاء في سائر أنحاء البلاد، وبات أحد أكبر الوجوه المميزة في المعارضة. كان ذا جاذبية كبيرة للمعارضة بقدر ما كان يشكل تهديداً للنظام، إلاّ أن سمعته تأثرت بإطلاق مقطع فيديو في 5 آب/أغسطس 2012 يظهره في دردشة عاطفية مع امرأة مجهولة. في 19 آب/أغسطس، أطلقت كتيبة الفاروق مقطع فيديو زعم فيه أن المقطع السابق كان مفبركاً. واستمر بصفته المتحدث باسم المجموعة، www.youtube.com/watch?v=GMjOuIykWFU; www.youtube.com/watch?v=3jZ1Xh2iAIk.

[25] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، حمص، أيار/مايو 2012؛ تقرير الشرق الأوسط رقم 128، "الصراع وتحولاته في سورية"، 1 آب/أغسطس 2012.

[26] هذه المجموعة الموجودة خارج البوكمال (وهي مدينة صغيرة على الحدود مع العراق)، تبنت اسم كتيبة الشيخ حجاج العجمي. والعجمي رجل دين اكتسب شهرة لجمعه للتبرعات لجبهة ثوار سورية، التي نناقشها أدناه. في الفيديو الذي صدر في 14 حزيران/يونيو 2012، شكرته المجموعة على دعمه وأثنت على تشكيل الجبهة، التي كان قد أعلن عنها قبل عشرة أيام، www.youtube.com/watch?v=KN7pYgtgkak.

[27] على سبيل المثال، فإن معظم أعضاء كتيبة خالد بن الوليد في حمص انضمت إلى كتيبة الفاروق؛ وبالمقابل، فإن العديد من مقاتليها تركوا المجموعة في أعقاب هزيمتها على يد قوات النظام في معركة بابا عمر في مطلع آذار/مارس 2012. في مرحلة لاحقة، تمتعت كلتا المجموعتين بتدفق الأموال، ونتيجة لذلك ازداد عدد أفرادهما مرة أخرى. ملاحظات لمجموعة الأزمات خلال اجتماعات مع المجلس الثوري في حمص، أيار/مايو 2012.

[28] إن تقدير عدد المقاتلين داخل أي مجموعة معينة صعب على نحو خاص. معظم الفصائل تسمي نفسها كتيبة، أو كتائب أو لواء. في حين أن هذا يعطي مؤشراً ما حول حجمها ـ كتائب تعني أن المجموعة تتكون من أكثر من وحدة، في حين أن لواء يشير إلى أن هناك عدة "كتائب" داخل الهيكلية القيادية لـ "لواء" أكبر ـ أما عملياً فإن هذه الكلمات تستعمل دون تدقيق، ويمكن لعدد المقاتلين في كتيبة أو لواء أن يتفاوت كثيراً.

تضمن حقوق وحريات جميع مواطنيها. رغم ذلك، فإن الجيش السوري الحر لم يتوصل حتى الآن إلى تراتبية قيادية موحّدة، أو أخلاقيات عمل أو انتماء سياسي قادر على توحيد عشرات الألوية التي تقاتل تحت رايته.

رغم أن الفصائل العاملة تحت اسمه تختلف كثيراً، فإن شهرة الجيش السوري الحر تعني أن أي مجموعة تختار عدم فعل ذلك تؤكد على انفصالها واستقلاليتها عنه. أغلبية المجموعات البارزة التي امتنعت عن تبني اسم الجيش السوري الحر هي على الأغلب مجموعات ذات منظور سلفي؛ وقد اختارت عدة مجموعات رايات سوداء كأعلام لها مصحوبة بعلم الثورة ثلاثي الألوان أو في حالات نادرة بدونه.[29] يميّز هذا التقرير بين المجموعات، السلفية وغيرها، التي تصف نفسها بأنها جزء من الجيش السوري الحر وتلك التي لا تفعل ذلك، ويقر في نفس الوقت بأن الخط الفاصل بين الفئتين غير واضح في كثير من الأحيان.

III. تربة خصبة، محصول غير مؤكد

كما ذكرنا أعلاه، فإن الانتفاضة تجذرت في فئة اجتماعية كانت من حيث المبدأ مستعدة لاستقبال النفوذ السلفي، والتي تتمثل في فئة المهاجرين الريفيين المسحوقين الذين تركَّز معظمهم في الأحياء غير المنظمة التي تحيط بالمدن الكبرى. على عكس الحلقة الداخلية للنظام والنخب الحضرية، فإن هذه الشريحة من السكان لم تتمتع بثمار الانفتاح الاقتصادي الذي تحقق بعد عام 2005. سنوات الجفاف والانكماش الاقتصادي خارج المراكز السياسية والتجارية أفضت إلى فترة طويلة سمتها الهجرة من الأرياف إلى الضواحي. زُرِع هؤلاء الناس المعتادون على أساليب الحياة الريفية التقليدية فجأة في بيئات خشنة تنزع الملامح الشخصية عن الناس وبعيدة جداً عن شبكات الدعم الاجتماعي التي كانت تحيط بهم. في هذه الأثناء، تخلت الدولة تدريجياً عن تقديم الكثير من الخدمات، وبات حزب البعث، الذي كان يتمتع في وقت ما بجذور عميقة بين الشرائح المهمشة، غير ذي صلة بهذه الظروف.

هذه التجمعات الفقيرة والمهمشة التي تعيش في الضواحي المحيطة بدمشق، وحلب وحمص، والتي تفتقر إلى الصلات بالمؤسسة الدينية التي تقدم خدماتها بشكل أساسي للنخب الحضرية، شكلت تربة ملائمة للدعاة السلفيين.[30] على النقيض من طبقة التجار ذات التوجهات الاقتصادية الليبرالية والمحافظة اجتماعياً والتي تعيش في المدن الكبرى، والتي تضرب جذور هويتها عميقاً في التقاليد والأعراف الراسخة التي تتطلب أنشطتها التجارية نوعاً من البراغماتية الدينية، فإن المهاجرين الريفيين بدوا مستعدين لاعتناق الرؤية السلفية.

يمكن المجادلة بأن تصاعد البعد المذهبي للصراع كان العامل الأكثر حسماً وراء انتشار الرؤية السلفية. للعديد من السنوات، سعى حتى بعض قادة الرأي السنة الرئيسيين إلى تصوير إيران وحلفاءها الشيعة (وهو تصنيف يضعون فيه العلويين أيضاً، ويعتبرون دينهم بدعة نشأت عن المذهب الشيعي) تهديداً خطيراً لهم.[31] بالنسبة للعديد من السلفيين البارزين، فإن مواجهة المخاطر الثقافية والجيوسياسية المتجسدة في ما يعتقد أنه محور شيعي تحظى بالأولية على المخاطر التي تشكلها إسرائيل أو الغرب.[32] أحدثت هذه الرؤية بعض

[29] بالنظر إلى إساءة استعمال النظام للرموز الوطنية في تبرير قمعه، سعت المعارضة لاستعمال مرجعيات وطنية أخرى. لقد استبدلت العلم الوطني الذي استُعمل طوال حكم النظام تقريباً (الخطوط الحمراء، والبيضاء والسوداء الأفقية المزينة بنجمتين خضراوين) بالعلم الذي تم تبنيه خلال الانتداب الفرنسي وسنوات الاستقلال الأولى (الخطوط الخضراء، والبيضاء والسوداء الأفقية المزينة بثلاث نجوم حمر). وقد رفض بعض المحتجين والمجموعات المسلحة كلا العلمين ورفعوا الأعلام السعودية الخضراء أو الرايات الجهادية السوداء التي كتب عليها عبارة "لا إله إلاّ الله". كما يمكن رؤية "علم النبي" الأبيض الذي يحمل تلك العبارة، رغم أنه لا يحمل بالضرورة نفس المعاني. يُرفع هذا العلم من قبل أتباع حزب التحرير، وهو حركة إسلامية تسعى لتأسيس الخلافة لكنها ترفض استعمال العنف.

[30] انظر تقرير مجموعة الأزمات، ثورة الشعب السوري ذات الإيقاع البطئ، مرجع سابق.

[31] لا يجمع العلويين الكثير بالشيعة من حيث الممارسات الدينية، رغم ما يقال عن أن عقيدتهم (التي تنزع إلى السرية)، تعطي أهمية خاصة لعلي بن أبي طالب، أول الأئمة الذين يشكلون العمود الفقري للمذهب الشيعي، وهو ما يُذكر عن أن الطائفة أسسها أبو شعيب بن نصير، أحد تلاميذ الإمام الحادي عشر. إلا أنه لا يعرف عن العلويين احترام الممارسات الإسلامية الأساسية، كالحج أو الصوم، وبشكل عام فإنهم يتبعون منهجاً علمانياً في الحياة وفي شكل الحكومة. رُفض العلويون من قبل عدة علماء مسلمين في المرحلة التي سبقت النهضة، إلا أنهم حققوا قدراً من الاعتراف كمسلمين خلال القرن العشرين، خصوصاً في السبعينيات عندما حصل الرئيس حافظ الأسد على فتاوى تفيد بذلك من علماء دين شيعة بارزين. www.youtube.com/watch?v=KN7pYgtgkak.

[32] برزت المخاوف من إيران والشيعة بشكل كبير في خطاب السلفيين التقليديين والسلفيين الجهاديين منذ عام 2006، عندما شهد العراق حرباً

الاختراقات قبل الانتفاضة السورية، إلا أنها سعت إلى توسيع دائرة نفوذها.[33] لقد وفرت الظروف الراهنة للسلفية فرصاً فريدة وغير مسبوقة لاكتساب المزيد من التأييد في أوساط السنة في سورية وخارجها.

لمدة أربعين عاماً، عاشت الأغلبية السنية في سورية في ظل حكم تهيمن عليه إلى درجة كبيرة عائلة الأسد العلوية؛ فقد بُنيت أجهزته العسكرية والأمنية والاستخبارية بطريقة تضمن أن تظل القوة الحقيقية في البلاد في أيدي أبناء الطائفة. هذا لا يعني أن النظام كان يمثل مصالح العلويين ـ حتى هذا اليوم، ما يزال أفراد الطائفة يُعتبرون بين الأفقر في البلاد ـ كما لا يعني أنه تجاهل المكونات الأخرى. لم يشمل النظام الأقليات فقط، بل ممثلين عن السنة أيضاً. وبالفعل، فإنه، وبسعي العائلة الحاكمة للحصول على الدعم من مؤسسة الأعمال والمؤسسة الدينية السنية (خصوصاً في دمشق، وفي السنوات الأخيرة في حلب)، وإظهارها أشكالاً من العبادات السنية، والزواج من نساء سنيات وتعيين السنة في مناصب هامة وفي بعض الأحيان حساسة، فإنها ـ خصوصاً في ظل حكم بشار ـ ضمنت أن هيكلية السلطة تعكس شرائح واسعة من المجتمع.

غير أن رد النظام على الاحتجاجات فاقم وأبرز عمق هويته المذهبية. مع انتشار المظاهرات، اعتمد النظام بشكل متزايد على العناصر الأكثر ولاءً، والتي يطغى عليها العنصر العلوي في قواته الأمنية لسحق انتفاضة غالبية المشاركين فيها من السنة. الأهم من ذلك ربما هو الدور الحاسم الذي لعبه الشبيحة، وهم البلطجية المتوحشون الذين انضموا إلى عمليات قمع المحتجين وحُمّلوا مسؤولية بعض أكثر المجازر وحشية. رغم أن الشبيحة ليسوا حصرياً علويين بأي حال من الأحوال، فإنهم في عدة مناطق ـ خصوصاً في وسط سورية ـ يتكونون على الأغلب من أفراد الطائفة الموالين للنظام، وفي كثير من الأحيان يكونون من القرى المجاورة للمناطق السنية التي يهاجمونها.[34]

عوامل أخرى عززت المحاولات السلفية المبكرة والمستمرة لتصوير الصراع على أنه بشكل أساسي مذهبي الطابع. بشكل عام، فإن شريحة واسعة من العلويين إما ظلت صامتة أو دعمت النظام؛[35] ولاقت الجهود المتواضعة التي بذلتها المعارضة للتواصل معهم وتطمينهم أذاناً صماء، وأخفقت في إقناع أفراد الطائفة بأنهم سيكونون آمنين في سورية المستقبل وبالتالي ينبغي أن ينشقّوا عن الأسد.[36]

أهلية مذهبية، وعندما اكتسب حزب الله قوة سياسية نتيجة حربه مع إسرائيل. العديد من السلفيين التقليديين في بلدان الخليج، إضافة إلى السلفيين في مناطق أخرى ممن يتلقون التمويل الخليجي، يشاطرون حكوماتهم هذه المخاوف فيما يتعلق بجهود إيران المزعومة لتوسيع نفوذها في العالم العربي. مع تنامي قوة حلفاء إيران الشيعة في العراق ولبنان على حساب نظرائهم السنة، تركز الخطاب السلفي بشكل متزايد على هذا التهديد المزعوم. من وجهة نظر بعض القادة السلفيين، فإن النفوذ المتنامي لإيران يعرّض أمن المنطقة للخطر، وكذلك سلامة أراضي وعقيدة الطائفة السنية في العالم العربي. يلعب السلفيون على المخاوف مما يسمى بالتشيّع ـ وهو جهد (برعاية إيرانية) لتحويل السنة إلى شيعة. بعض المثقفين الإسلاميين السنة البارزين رفضوا مثل هذه المخاوف على أنها لا أساس لها؛ انظر ياسر الزعاترة، "هذا الجدل المذهبي المخيف"، *الدستور* [الأردن] 9 كانون الأول/ديسمبر 2009؛ وفهمي هويدي، "أخطأت يا مولانا"، *الدستور* [مصر]، 21 أيلول/سبتمبر 2008. آخرون، بمن فيهم يوسف القرضاوي، رجل الدين البارز والذي يتخذ من قطر مقراً له والذي يرأس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين والذي يظهر بانتظام على الجزيرة، يؤكدونها، ما يعتبر بمثابة ختم مصادقة على مخاوف سلفية تقليدية. انظر المقابلة مع القرضاوي على بي بي سي عربي في برنامج "في الصميم" 7 شباط/فبراير 2010، ملخّص المقابلة على الموقع www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/02/100206_qaradawi_fissameem_tc2.shtml. رغم أن هذه الظاهرة تعرضت للمبالغة، فإنها تسببت في مخاوف خاصة في سورية، بالنظر إلى العلاقات السياسية والاقتصادية القوية التي يقيمها النظام مع طهران. اعتقال الحكومة لأحد رجال الدين السنة عام 2009 في مركز أبو النور الإسلامي في دمشق دفع المعارضة السورية في لبنان إلى إصدار بيان يتهمها باستهداف "جميع أولئك الذين يرفضون ويعارضون التشيّع الفارسي في سورية". انظر "اتهامات لسورية باستهداف علماء السنة لمواجهتهم المد الإيراني الشيعي"، مفكرات الإسلام، 9 تموز/يوليو 2009، *Mufakerat al-Islam* 9 July 2009 www.islammemo.cc/akhbar/arab/2009/07/09/84756.html.

[33] في سائر أنحاء المنطقة، حتى مع تصاعد الصراع المذهبي بين الشيعة والسنة في العراق، فإن استطلاعات الرأي أشارت إلى أن إيران، وحزب الله والرئيس بشار الأسد احتفظوا بقدر كبير من المصداقية في أوساط العرب السنة خارج العراق. في استطلاع للرأي أجرته مؤسسة زغبي عام 2008 في ستة بلدان عربية، رد 29% فقط من الذين شملهم الاستطلاع بأنهم يعتبرون أن حصول إيران على السلاح النووي سيؤثر سلباً على المنطقة، مقارنة بـ 44% شعروا بأن تبعات ذلك ستكون إيجابية. ووجد نفس الاستطلاع أن حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله)، والأسد والرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد هم القادة الثلاثة الأكثر إثارة للإعجاب بين قادة العالم. انظر "2008 Arab Public Opinion Poll" Survey of the Anwar Sadat Chair for Peace and Development at the University of Maryland with Zogby International.

[34] انظر إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 33، مرحلة التحول نحو الراديكالية في سورية 10 نيسان/أبريل 2012.

[35] رغم أن حفنة من الشخصيات العلوية لعبت أدوار بارزة داخل المعارضة سواء قبل أو خلال الانتفاضة، فإن الطائفة بشكل عام رفضت الانضمام إلى الحركة الاحتجاجية، ناهيك عن الصراع المسلح ضد النظام.

[36] اشتملت المحاولات الأولى للحصول على دعم العلويين إطلاق اسم الشيخ صالح العلي، أحد قادة ثورة عام 1919 ضد الانتداب الفرنسي، على احتجاجات 17 حزيران/يونيو 2011. في تشرين الثاني/نوفمبر 2011، برزت فدوى سليمان ـ وهي ممثلة علوية معروفة ـ بوصفها إحدى الشخصيات المعروفة في الانتفاضة نتيجة نشاطها العلني في معاقل المعارضة ذات الأغلبية السنية في حمص. قادت مظاهرات مع عبد الباسط الساروت (حارس مرمى سابق في فريق كرة القدم الوطني وأحد النشطاء البارزين الذين عرفوا بأغنياتهم) وظهرت في مقابلات على الهواء على الجزيرة، مؤكدة على وحدة الشعب السوري وموجهة أحياناً رسالتها إلى الأقليات التي أحجمت عن الانضمام إلى الانتفاضة. انظر مظاهرة 8 تشرين الثاني/نوفمبر 2011 مع الساروت، www.youtube.com/watch?v=c72B 4pnGm38; her 7 November appearance on Al Jazeera www.youtube.com/watch?v=dHB4k7GaZ6g. وخطابها في عزاء في وادي العرب، حمص، www.youtube.com/watch?v=wNkd1KLIayM؛ كما بذل بعض قادة الرأي الإسلاميين جهوداً لتطمين العلويين. انظر http://blogs.mediapart.fr/blog/thomas-pierret/041011/des-

نتيجة لذلك، وكذلك نتيجة غياب أي مشاركة علوية واضحة في الانتفاضة، فإن الشبيحة باتوا يمثلون الطائفة العلوية في نظر السنة.[37]

تعززت الرواية المذهبية أكثر من خلال هوية أولئك الذين أظهروا دعمهم للنظام بأكثر الأشكال علنية واستمراراً: الشخصيات السياسية الشيعية العراقية، وإيران وحزب الله، حيث يكرر قادة هذا الحزب ومحطته التلفزيونية المقولات الدعائية للنظام. كما اكتسبت تقارير غير مؤكدة ـ نشرها على نطاق واسع نشطاء سوريون، ووسائل إعلام موالية للسعودية وشخصيات سلفية ـ مفادها أن هؤلاء قدّموا للنظام مساعدة عسكرية مباشرة قدراً كبيراً من المصداقية في أوساط المعارضة.[38] كما أن حقيقة أن هؤلاء اللاعبين يدعمون الانتفاضة البحرينية (ذات الأغلبية الشيعية) جعل الطبيعة المذهبية لهذا الدعم أكثر وضوحاً.[39]

بشكل عام، فإن اعتماد النظام على المقاتلين العلويين المحليين والشيعة الأجانب أدى إلى نشوء رواية ـ شائعة على وجه الخصوص في معاقل المعارضة السنية ـ تساوي الصراع بالمقاومة ضد احتلال أجنبي والهجمات ضد قوات الحكومة بالجهاد ضد المحتل.[40] وكون هذا الموضوع أتى في أعقاب ثلاثة عقود مما دعي بالمقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الروسي، والإسرائيلي والأمريكي، فإنه لقي صدى واسعاً في سائر أنحاء المنطقة.

لقد استفاد السلفيون من اتجاهات وديناميكيات أخرى. كان هناك أولاً خيبة الأمل بالتوجهات المتنافسة للمعارضة. رغم بقاء المظاهرات السلمية سمة محورية للانتفاضة ولصورتها، فإنها أثبتت عدم قدرتها على زعزعة قبضة النظام على السلطة؛ مع تلاشي الآمال بتسوية سريعة وغير عنيفة، فإن القادة المعتدلين أخفقوا في تقديم بديل قابل للحياة. فقدت الأصوات المعارضة التي تدعم الحوار مصداقيتها، مع لجوء النظام بشكل أكثر وضوحاً إلى حل أمني وعسكري، واتضاح أن إصلاحاته كانت سطحية.[41] انقسم القادة العلمانيون داخل معارضة المنفى حول تسليح الجيش السوري الحر والدعوة إلى التدخل الأجنبي؛ حيث أن أولئك الذين رفضوا كلا المسارين فقدوا تأييد أنصارهم على الأرض في الانتفاضة داخل سورية، في حين أن أولئك الذين يفضلون هذين الخيارين لم يثبتوا فعاليتهم في حشد الدعم الدولي اللازم. كما نناقش أدناه، فإن الأصوات الإسلامية المعتدلة ظلت صامتة على الأغلب.

ثانياً، استفاد بعض السلفيين من إخفاق المجتمع الدولي في تقديم الدعم الحاسم للمعارضة. رغم أنه ما من شك في أن مناشدات النشطاء من أجل الحصول على الدعم الغربي تعقدت بسبب الرسائل الصادرة عن السلفيين بالنظر إلى موقفهم التقليدي المعادي للغرب والولايات المتحدة، وإحجام الأوروبيين عن إرفاق الدعم اللفظي بإجراءات ملموسة، ما عزز الرواية القائلة بأن الغرب شريك سلبي في جرائم النظام.[42] وبطريقة مماثلة، فإن تردد الغرب بتسليح الجيش السوري الحر ـ سواء كان ذلك مبرراً أم لا ـ مصحوباً بالفشل الأولي لدول الخليج العربي بالوفاء بالتزاماتها في تزويد المعارضة بالأسلحة لعب دون شك لصالح المجموعات المسلحة السلفية.[43] على عكس الجيش

islamistes-syriens-tendent-la-main-la-communaute-alaouite.

[37] انظر إحاطة مجموعة الأزمات حول الشرق الأوسط رقم 31، مسارات غير مطروقة: التأمل في تبعات الديناميكيات السورية، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[38] المجلس الوطني السوري المعارض والجيش السوري الحر ونشطاء آخرون يعبّرون عن إدانتهم بشكل متكرر لإيران وحزب الله لدعمهما النظام، بما في ذلك ما يُزعم عن تزويده بالأسلحة والمقاتلين. كما تشير مواقع المعارضة على الإنترنت إلى تقارير أخرى تتحدث عن تدخل إيران وحزب الله. رغم أن هذه التقارير كثيراً ما تظهر على وسائل إعلام ممولة من السعودية، مثل (قناة العربية الفضائية، وصحيفة *الشرق الأوسط*)، فإن مقاطع الفيديو المنشورة على يوتيوب والتي تزعم أنها تصور نشاط إيران وحزب الله في سورية تظهر أيضاً وبشكل متكرر على مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية للمعارضة. انظر، على سبيل المثال، الفيديو الذي نشر في 20 أيار/مايو 2011 والذي يُظهر ضحية قتلت من قبل قوات الأمن الإيرانية في محافظة إدلب، وظهر الفيديو على صفحة المعارضة على فيسبوك، www.facebook.com/420796315726/posts/209360575770278. يزعم المقاتلون بأنهم اعتقلوا مقاتلين من حزب الله، وأعضاء في الحرس الثوري الإيراني وحتى مقاتلين من جيش المهدي العراقي، ما أسهم في تغذية التصورات عن الدعم العسكري الشيعي للنظام.

[39] سخر نشطاء المعارضة مما وصفوه بنفاق حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله، في هذا الصدد خصوصاً في حلقة بثت في 12 آب/أغسطس 2011 من "عنزة ولو طارت"، وهي سلسلة ساخرة تبث على يوتيوب تقدمها امرأة سورية شابة ترتدي قناعاً كرنفالياً. في منتصف البرنامج، تسأل عن الشيء الذي يتميز به بشار الأسد والذي دفع نصر الله لدعم وعوده بالإصلاح حتى بعد أن أدان تعهدات فارغة مماثلة من قبل قادة عرب آخرين يواجهون انتفاضات شعبية. وتجيب، "آه، نعم. لأنه [الأسد] شيعي! إذاً، من هو الطائفي؟" شوهد هذا الفيديو أكثر من 4,000 مرة. www.youtube.com/watch?v=SRh4hd9zl-w&feature=relmfu.

[40] بحلول أواخر عام 2011، فإن عدة نشطاء ومواقع للمعارضة على الإنترنت بدأوا بتسمية الجنود السوريين، قوات "الاحتلال الأسدي"، على سبيل المثال بيان الهيئة العامة للثورة السورية، وهي مجموعة من النشطاء القياديين، بعنوان "الاحتلال الأسدي يخطط لارتكاب مجازر في حمص".

[41] للمزيد، انظر الصراع وتحولاته في سورية، مرجع سابق.

[42] إن المطالبة بمساعدة المجتمع الدولي أمر غير مريح لبعض المجموعات السلفية الجهادية، مثل جبهة النصرة، التي صورت تقليدياً الولايات المتحدة وحلفاءها (بما في ذلك القادة العرب والأتراك) كأعداء للإسلام. هكذا، وحتى مع الدعوات المتكررة التي أطلقها المتظاهرون للحكومات الأجنبية كي تتصرف (بين أيلول/سبتمبر وكانون الأول/ديسمبر 2011، أقاموا ثلاث مظاهرات في سائر أنحاء البلاد أيام الجمعة حثوا فيها على شكل من أشكال التدخل الدولي)، فإن زعيم جبهة النصرة، أبو محمد الجولاني، أدان مثل تلك المناشدات على أنها ساذجة وآثمة. انظر أول ظهور له في مقطع فيديو، "الإعلان عن جبهة النصرة لأهل الشام"، 24 شباط/فبراير 2012.

[43] عزز وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل الآمال في أوساط مؤيدي الانتفاضة عندما دعا لتسليح المعارضة في اجتماع "أصدقاء سورية" في شباط/فبراير 2012؛ إلا أنه ذكر أن شحنات الأسلحة لم تصل إلى أيدي الثوار حتى أيار/مايو. انظر Maria Abi-Habib "Saudis seek to funnel arms to Syria rebels" *The Wall Street Journal* 29 March 2012; also Martin Chulov "At Syria's border after months of waiting the weapons arrive" *The Guardian*,29 June 2012. حتى مع ظهور تقارير في حزيران/يونيو عن شحنات أسلحة إضافية من السعودية وقطر، فإن كثيرين من مؤيدي

السوري الحر ـ الذي ظلت أفعاله مقيدةبمقولة تؤكد الدفاع عن النفس إضافة إلى خشيته من تنفير داعميه الغربيين المحتملين ـ فإن هذه المجموعات شعرت بحرية أكبر في الترويج لهجماتها العنيفة ضد قوات النظام والشبيحة طوال ربيع عام 2012.[44] وقد أدى هذا إلى ظهور تصور شعبي، رغم أنه مبالغ به، بأن المجموعات السلفية هي الوحيدة الفاعلة.

أحد نشطاء حمص قال:

> المزاج السوري يتحول تدريجياً من معتدل إلى راديكالي. في حين يفكر الأمريكيون ويخططون، فإن الإسلاميين المتطرفين يقاتلون كل يوم للحصول على دعم الشعب. إلى أن تصبح الولايات المتحدة مستعدة لاتخاذ قرار، فإن كل سورية ستكون قد أصبحت إسلامية.[45]

وفي نفس السياق، فإن الإحجام الغربي عن تقديم الدعم لمجموعات المعارضة المسلحة وتأخر دول الخليج العربي بالقيام بذلك وفّر للمانحين الخليجيين الأفراد ميزة التفوق في هذا المجال؛ حيث أنهم هم أنفسهم سلفيون في الغالب، ويميلون على الأرجح للتبرع للمجموعات السلفية، مما يمنح هذه المجموعات ميزة نسبية أخرى. أعضاء في مجموعة قيادية من النشطاء في حمص أخبروا مجموعة الأزمات أن التبرعات القادمة من المغتربين السوريين ومن العرب في بلدان الخليج ساعدت على نمو تيار إسلامي متزايد بين المقاتلين اعتبارا من مطلع عام 2012.[46] بحلول أيار/مايو، وطبقاً لأحد النشطاء، فإن معظم الأموال التي كانت المجموعات المسلحة تتلقاها في حمص كان يرسلها "إسلاميون لإسلاميين".[47]

تطورت ديناميكية مشابهة في محافظة إدلب، حيث نشأت كتائب أحرار الشام بين أبرز المقاتلين في الشمال. في تموز/يونيو 2012، ذكر صحفي غربي في إدلب أن إمكانية وصول السلفيين مباشرة إلى التمويل الخليجي كانت مثار حسد للقادة المحليين للجيش السوري الحر، الذين اشتكوا بمرارة من أن قادتهم الموجودين في تركيا لا يقدمون لهم ما يكفي من التمويل والسلاح.[48]

لقد كانت آثار الدعم الذي يقدمه المتبرعون المحافظون أكبر من مجرد تعزيز قوة الفصائل السلفية مقارنة بنظرائها الآخرين في المعارضة، لقد دفع هذا الدعم المقاتلين غير السلفيين للانضمام إلى الوحدات السلفية القادرة على تزويدهم بالأسلحة والذخيرة. وبدأت المجموعات التي ليس لها أي انتماء أيديولوجي على الإطلاق بتبني الرموز، واللغة والمظاهر المرتبطة بالسلفية لتلك الغاية. في حين أن مثل هذه الأنماط من السلوك قد تظهر إلى حد بعيد كظاهرة انتهازية وتقود بالتالي إلى تقييمات مبالغ بها تفيد بتنامي التيار الإسلامي، فبمرور الوقت يمكن أن تتحول تلك المظاهر إلى مشاعر حقيقية، مع طغيان الصراع القائم على أرضية دينية على جيل من المقاتلين. لكن، كما نناقش أدناه، فإن من شأن ذلك أن يحدث ردة فعل عكسية، إذا انخرط هؤلاء السلفيون السطحيون في أنماط من السلوك تشوّه سمعة التيار بشكل عام.

المعارضة ظلوا متشككين. في 20 حزيران/يونيو، صوت أنصار المعارضة على الإنترنتلصالح خروج مظاهرات الجمعة التالية تحت لافتات تقول "إذا كانت الحكومات ضعيفة، فأين الشعوب؟" مؤخراً، بدأ المسؤولون الأمريكيون والأوربيون يزعمون أن كميات أسلحة كبيرة وصلت إلى الجيش السوري الحر، بشكل أساسي من السعودية وقطر عن طريق تركيا. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين، واشنطن دي سي، آب/أغسطس ـ أيلول/سبتمبر 2012؛ ومع مسؤولين أوروبيين، أيلول/سبتمبر 2012.

[44] قادة الجيش السوري الحر طلبوا صراحة الأسلحة من الحكومات الأجنبية، وكانت بعض الحكومات صريحة أيضاً بالتعبير عن إحجامها. في 27 شباط/فبراير 2012، قالت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون لأخبار سي بي إس: "نحن نعرف أن زعيم القاعدة [أيمن] الظواهري يدعم المعارضة في سورية. هل نقوم بدعم القاعدة في سورية؟ حماس تدعم المعارضة الآن. هل ندعم حماس في سورية؟" وأضافت: "وهكذا، إذا كنت مخططاً عسكرياً أو وزيراً للخارجية وتحاول فهم ما يجري، فهل ترى عناصر لمعارضة قابلة للحياة فعلاً ونحن لا نراها". هذا الشعور يشرح جزئياً سبب سعي وحدات الجيش السوري الحر لتجنب الترويج علناً لأفعال تقوم بها يمكن لداعميها الغربيين المحتملين أن يربطوها بالمقاتلين الإسلاميين. أما المجموعات المسلحة السلفية فهي لا تسعى للحصول على دعم غربي، وبالتالي فهي أكثر حرية في تبني الأفعال التي تقوم بها والترويج لها.

[45] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد المجلس الثوري في حمص، حمص، أيار/مايو 2012.

[46] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد المجلس الثوري في حمص، حمص، شباط/فبراير 2012.

[47] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، حمص، أيار/مايو 2012. وأضاف أنه رغم أن المقاتلين الإسلاميين في حمص ليسوا متطرفين، فإن هذه النزعة باتت تتنامى مع استمرار الحرب.

[48] بالإشارة إلى كتائب أحرار الشام، فإن قائد إحدى كتائب الجيش السوري الحر في مدينة سراقب قال، "السلفيون يحصلون على دعم خاص بهم، وهو دعم قوي. أنا لا ألومهم، لكننا بدأنا قبلهم؛ وضحينا بدمائنا، أعتقد أن من الظلم أن يحصلوا هم على دعم أكبر مما نحصل عليه نحن". أحد القادة المحليين لكتائب أحرار الشام أكد أن مجموعته تتلقى تمويلاً كبيراً وأشار إلى أن كتائب الجيش السوري الحر في المنطقة كانت تعاني من أن جزءاً كبيراً من الدعم المخصص لها لم يسمح له بمغادرة تركيا. انظر، Rania Abouzeid "Going rogue: Bandits and criminal gangs threaten Syria's rebellion" *Time*,30 July 2012.

IV. انتقال المجموعات السلفية من الهامش إلى المركز

مع تصاعد الرد العسكري للنظام في النصف الأخير من عام 2011، فإن التركيز الأصلي للمعارضة المسلحة على الوحدة الوطنية والدفاع عن النفس تعرضت للتحدي من قبل منظور أكثر عدوانية وذا طابع إسلامي صريح. أعلنت أبرز المجموعات المرتبطة بهذا التيار، وهي جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، عن تأسيسها في أواخر كانون الثاني/يناير 2012. رغم أن معظم نشطاء التيار الرئيسي في المعارضة، وسياسيوها وقادة الجيش السوري الحر أحجموا عن استعمال مصطلح الجهاد، فإنهم ـ إضافة إلى عدة مجموعات سلفية مستقلة ظهرت اعتبارا من كانون الثاني/يناير وما بعد ـ اعتنقوا المبدأ صراحة.[49] وقد طوّرت كل منها، بدرجات متفاوتة، منظوراً سلفياً مميزاً يصوّر معركتها على أنها صراع ديني ضد نظام علوي طائفي. في حين أن هذه الفصائل ليست بحجم وسمعة تلك العاملة تحت لواء الجيش السوري الحر، إلاّ أن تكتيكاتها العدوانية وتقنياتها البارعة في التسويق أصبحت ذات أثر كبير في إعادة صياغة شروط الحوار داخل سورية.

ب. المشهد السلفي

1. جبهة النصرة لأهل الشام

ظهرت جبهة النصرة على مشهد المجموعات المسلحة في أواخر كانون الثاني/يناير 2012 مع ظهور مقطع فيديو يعد بإطلاق الجهاد ضد النظام. في حين أن ضعف جودة المقطع، والترجمة الإنكليزية واللغة الهجومية والطائفية بشكل صريح دفعت مجموعات المعارضة الرئيسية إلى وصفه بأنه ناتج عن إحدى مناورات النظام لتقويض مصداقية مقاتليها، فإن جبهة النصرة تلقت مديحاً فورياً على الإنترنت من قبل مؤيدي القاعدة.[50]

بظهورها في وقت هيمنت محاولات النشطاء وقيادة الجيش السوري الحر على خطاب المجموعات المسلحة في المعارضة لاجتذاب الدعم الغربي وتصوير العنف الممارس ضد النظام على أنه دفاع عن النفس، والالتزام بهدف تحقيق الديمقراطية غير الطائفية، فإن جبهة النصرة ميّزت نفسها باستعمال صور وخطاب سلفي جهادي واضح، محذرة من السعي للحصول على المساعدات الغربية وهجومها على الحكومة التركية على أساس أنها غير إسلامية بشكل كافٍ وأنها عبارة عن بيدق أمريكي.[51] بالنسبة للمجموعة، فإن الإطاحة بالأسد تمثل نصف المعركة فقط؛ أما النجاح فسيتحقق فقط عند استبدال النظام بأكمله بدولة إسلامية تتّبع المبادئ السلفية.[52]

رغم أن مجموعات أخرى تبنت خطاباً ورموزاً مشابهة، فإن جبهة النصرة تتميز عن غيرها من المنظمات السلفية المسلحة لعدة أسباب. إنها تعلن مسؤوليتهابشكل منتظم عن هجمات انتحارية في الأحياء المدنية؛ وتُعتبر من قبل القاعدة المجموعة السلفية ـ الجهادية المفضلة؛ وتستعمل استراتيجية توزيع إعلامية على الإنترنت شبيهة بتلك التي تستعملها المنظمات التابعة والمرتبطة بالقاعدة. رغم أنها أعلنت مسؤوليتها عن عشرات الهجمات ضد قوات الأمن في سائر أنحاء البلاد، فإنها باتت معروفة بشكل خاص لإعلانها المسؤولية عن تفجيرات انتحارية كبيرة في دمشق وحلب في مطلع عام 2012.[53] في حين أن عملياتها الدعائية سعت إلى تصوير هذه الهجمات على أنها استهدفت بدقة وعناية مبانٍ أمنية حكومية وعناصر أمن، فإن أجهزة الإعلام الموالية للنظام، والموالية للمعارضة ووسائل الإعلام الغربية جميعها تحدثت عن عدد كبير من القتلى المدنيين.[54] سواء تعلق الأمر باختيار الهدف (مبانٍ حكومية في أحياء حضرية مزدحمة) أو التكتيكات (استعمال الهجمات الانتحارية)، فإن ثمة عناصر مشتركة تربطها بالقاعدة في العراق أكثر مما تربطها بفصائل المعارضة السورية.[55]

---

[49] يلعب مفهوم الجهاد دوراً أكثر محدودية في خطاب فصائل الجيش السوري الحر الرئيسية مما يلعبه لدى المجموعات السلفية، إلا أن المصطلح بات أكثر شيوعاً في المواد التي تصدرها الفصائل العاملة تحت لواء الجيش السوري الحر منذ مجزرة الحولة في أيار/مايو 2012.

[50] في حين أن تحوّل القاعدة إلى شبكة من المجموعات المستقلة المرتبطة بها،إضافة إلى متعاطفين أفراد، يتم توثيقه بشكل جيد، فإن اسمها يحتفظ بدعم وولاء مجموعة صغيرة لكن حيوية تعمل على الإنترنت. يجتمع ما يسمى بمجاهدي الإنترنت في منتديات للنقاش مثل "شموخ الإسلام" و "أنصار المجاهدين"، حيث يتمكنون من الحصول على مواد من المجموعات السلفية الجهادية يصادق عليها ويحمّلها مدراء المنتدى أو مركز الفجر للإعلام، الذي يوزع منشورات المجموعات المرتبطة بالقاعدة. عتبة التوزيع على هذه المواقع مرتفعة للغاية ـ في أوج نشاط المجموعات المسلحة في العراق، فإن بعض أبرز المجموعات المسلحة مُنعت من دخول المنتديات الجهادية الرئيسية رغم أنها كانت تتبنى الخطاب السلفي بشكل كامل. يراقب أنصار القاعدة هذه المنتديات لتقييم ما إذا كانت إحدى المجموعات الجهادية تستحق اهتمامهم.

[51] أول فيديو تطلقه جبهة النصرة بعنوان "الإعلان عن جبهة النصرة لأهل الشام"، 25 كانون الثاني/يناير 2012.

[52] انظر خطاب أبو محمد الجولاني في المرجع السابق.

[53] أعلنت جبهة النصرة مسؤوليتها عن تفجير 6 كانون الثاني/يناير 2012 في حي الميدان في دمشق، وهي المرة الأولى التي تعلن فيها مجموعة مسلحة عن استعمال انتحاريين. كما أنها أعلنت مسؤوليتها عن التفجير الانتحاري في 10 شباط/فبراير لبناء تستعمله قوات الأمن في حلب (انظر الفيديو الذي أطلق في 26 شباط/فبراير بعنوان غزة الثائر لحرائر الشام)؛ وعن تفجيرين انتحاريين في دمشق في 17 آذار/مارس، استهدف أحدهما مكتباً للمخابرات في حي القصاع المسيحي (انظر الإعلان رقم 1)؛ والتفجير الانتحاري في 27 نيسان/أبريل الذي استهدف قوات الأمن في الميدان (الإعلان رقم 2). على النقيض من ذلك، فإنها لم تعلن مسؤوليتها عن تفجيرات 10 أيار/مايو في حي القزاز في دمشق. ثمة مزيد من المناقشة لهذا الهجوم في الجزء الخامس.

[54] *نيويورك تايمز*، 6 كانون الثاني/يناير؛ 17 آذار/مارس 2012.

[55] صحيح أن هجمات جبهة النصرة في حيي الميدان والقصاع في دمشق كانا موجهين لهدفين أمنيين تابعين للنظام (عناصر الأمن في الأول؛ ومكتب للمخابرات في الثاني)، لكن نجم عنها أعداد كبيرة من القتلى المدنيين. مثل هذه الهجمات تشن عادة من قبل القاعدة في العراق، التي قامت بعمليات تفجير رئيسية ضد المكاتب الحكومية في أحياء بغداد المزدحمة. كالقاعدة، فإن جبهة النصرة لا تظهر قدراً كبيراً من التعاطف مع المارة الأبرياء. في البيان الذي تعلن فيه مسؤوليتها عن هجوم القصاع، أخبرت المسيحيين دون اعتذار أنهم ليسوا هم المستهدفون

ويمكن قول الشيء ذاته عن اعتناق جبهة النصرة الصريح للخطاب الطائفي: رغم أن معظم فصائل الثوار تسعى إلى تهدئة مخاوف الأقليات وتصف صراعها بحرب تحرير نيابة عن جميع السوريين، فإن جبهة النصرة تصور نفسها على أنها المدافع الجريء عن الطائفة السنية ضد "العدو العلوي" و "عملاءه الشيعة". وتستعمل بشكل روتيني التعبير الهازئ "الروافض" بالإشارة إلى الشيعة، وهي ممارسة شائعة بين المجموعات المسلحة السلفية ـ الجهادية العراقية. كما أن استعمال كلمة "النصيري" بدلاً من العلوي فيها نفس القدر من الاستهزاء، الذي يهدف إلى إبراز انفصال هذه الطائفة عن الإسلام الصحيح؛ حيث تشير كلمة نصيري إلى مؤسس الطائفة، وهو أحد تلاميذ الإمام الشيعي الحادي عشر، وحيث أن "علوي" تشير إلى علي بن أبي طالب، الذي يعتبر من قبل السنة رابع الخلفاء الراشدين.[56]

لقد أثارت أوجه الشبه الظاهرية هذه مع ممارسات القاعدة في العراق الرعب في العواصم الغربية وأضرت بسمعة المجموعة في أوساط قادة الانتفاضة وداعميها الرئيسيين. أشار المسؤولون الأمريكيون علناً إلى أن ما لا يقل عن هجومين تبنتهما جبهة النصرة نفذا من قبل القاعدة في العراق، التي يتهمونها بمحاولة اختراق المعارضة المسلحة.[57] رغم أن جبهة النصرة لم تعترف بوجود صلات مباشرة بينها وبين القاعدة في العراق، فإن أعضاءها أقروا بوجود مقاتلين عراقيين، ويمنيين، وسعوديين، وأردنيين، وكويتيين، وليبيين وكازاخيين بين صفوفهم.[58]

كما ذكرنا، ففي أوساط المعارضة، انتشرت مزاعم كثيرة بأن النظام نفسه مسؤول مباشرة أو بشكل غير مباشر عن تنظيم تفجيرات دمشق وحلب في مطلع عام 2012 من أجل تخويف الأقليات السورية والقوى الغربية. ومن وجهة نظر بعض شخصيات المعارضة، وفي البداية على الأقل، فإن عنف جبهة النصرة كان معداً لإثبات مزاعم النظام بأنه كان يواجه إرهابيين سلفيين.[59] ومن هنا فإنهم استنتجوا بأن الأجهزة الأمنية كانت قد نفذت تلك الهجمات؛[60] أشار آخرون، بمن فيهم السفير السوري المنشق في العراق، بأنها ناشئة عن تعاون قديم بين المخابرات السورية والقاعدة في العراق.[61] إحدىالشخصيات السلفية ـ الجهادية السورية البارزة، أبو بصير الطرطوسي، اتهم المجموعة علناً أيضاً بخدمة مصالح النظام.[62] بصرف النظر عن صدقية مثل تلك المزاعم، فإنها عقّدت جهود جبهة النصرة في الحصول على قبول واسع من الجهات الداعمة للمعارضة.

رغم ذلك، فإن ثمة مؤشرات على أنه، ومنذ تموز/يونيو، فإن جبهة النصرة قد تكون صححت أخطاءها التي ارتكبتها في البداية وعززت مصداقيتها وتعاونها مع مجموعات رئيسية للثوار. وهذا يتضح بأجلى صوره في مدينة حلب التي أصبحت ميدان معركة، وحيث يبدو أن المقاتلين الموالين لها يعملون إلى جانب مقاتلي كتائب أحرار الشام ولواء التوحيد، ويقودون قوات الثوار المشاركين في العمليات العدائية (انظر أدناه).[63] تظهر مقاطع الفيديو على الإنترنت أعضاء في

وحذرت السوريين "بأن عليهم تجنب السكن إلى جانب الفروع الأمنية وأوكار النظام" (الإعلان رقم 2).

[56] انظر إعلانات جبهة النصرة رقم 48، 79، 80، 81 و 82.

[57] Jonathan Landay "US officials" op. cit.; also Greg Miller "Al-Qaeda infiltrating Syrian opposition US officials say" *The Washington Post*,16 February 2012.

[58] في مقابلات منفصلة مع صحافيين غربيين، وصف قائد جبهة النصرة في دير الزور ومقاتلين آخرين فيها من إدلب الفروع المحلية بأنها تتكون أساساً من سوريين، بدعم من متطوعين أجانب. انظر Rania Abouzeid "Meet the Islamist militants fighting alongside Syria's rebels" *Time* 26 July 2012.

[59] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في المعارضة، ضواحي دمشق وحمص، آذار/مارس 2012.

[60] اتهم المجلس الوطني السوري "عصابات الأسد" بارتكاب تفجيرات دمشق في 17 آذار/مارس والتفجيرات السابقة في العاصمة وفي حلب، واصفاً الحملة "الإرهابية" بأنها "محاولة يائسة لتضليل الرأي العام وإرهاب سكان دمشق وحلب، خصوصاً في أعقاب تصاعد الحركة الاحتجاجية في تلك المدينتين". انظر "المجلس الوطني السوري يتهم النظام بالوقوف وراء تفجيرات دمشق وحلب"، وكالة الصحافة الفرنسية، 18 آذار/مارس 2012.

[61] رياض الأسعد، القائد الرسمي للجيش السوري الحر، حمّل المسؤولية للنظام عن التفجير الهائل في 10 أيار/مايو 2012 لأحد المقرات الأمنية في دمشق. وأشار إلى أنه كان يستعمل مجموعات متطرفة لتنفيذ الهجمات بشكل يخدم أهدافه، ملاحظاً بأنها كانت في الماضي تشكل صلة وصل في العراق بين القاعدة وغيرها من المجموعات المسلحة العراقية. وأضاف أن "أعضاء القاعدة يرتبطون بالمخابرات الجوية السورية" ـ أحد أقوى الأجهزة المخابراتية للنظام ـ وأن النظام مسؤول مباشرة عن دخول أي أعضاء في القاعدة إلى سورية. انظر رياض الأسعد لـ*الرأي*: عناصر القاعدة إذا دخلت سورية ... فبالتعاون مع المخابرات الجوية لأنها مرتبطة بها، *الرأي* (الكويت) 13 أيار/مايو 2012.

[62] أصدر الطرطوسي بيانين يشكك فيهما بشرعية جبهة النصرة وأشار إلى أن أفعالها كانت لمصلحة النظام. الأول، وأطلقه على صفحته على فيسبوك بُعيد إطلاق جبهة النصرة لأول فيديو لها، انتقد قيادة المجموعة وأعضاءها لرفضهم الكشف عن هوياتهم، على عكس المنشقين في الجيش السوري الحر، الذين كانوا يعرّفون عن أنفسهم في فيديوهات على يوتيوب، ولمعارضتهم المناشدات الموجهة للحصول على الدعم الدولي. وأثار شكوكاً حول ما إذا كانت جبهة النصرة مجموعة جهادية مشروعة، وليست تلفيقاً من قبل النظام. انظر إعلان الطرطوسي في 27 كانون الثاني/يناير "المعارضة الإسلامية للنظام السوري" على حسابه على فيسبوك، www.facebook.com/moaradaislamiya/posts/3118126055274 .35. في بيان آخر صدر من خلال فيسبوك في 27 شباط/فبراير، اليوم التالي لإطلاق جبهة النصرة لثاني فيديو لها، تساءل الطرطوسي لماذا كانت المجموعة قد أعلنت مسؤوليتها عن تفجير الميدان في 6 كانون الثاني/يناير، الذي حمل نشطاء المعارضة مسؤوليته بالإجماع للنظام، مضيفاً بأن حديثها العلني عن قتل العلويين والشيعة سيكون مكلفاً للثورة وتحدى زعيمها أن يثبت مصداقيته بالكشف عن هويته وإثبات أنه مدعوم من قبل سلفيين سوريين معروفين. انظر www.facebook.com/moaradaislamiya/posts/3325422434544 .71.

[63] في فيديو أصدرته أحرار الشام في 23 آب/أغسطس 2012، يشيد الراوي بالدور الذي لعبته جبهة النصرة في إسقاط طائرة هيلكوبتر خارج حلب. رغم أن الأيديولوجية السلفية لكتائب أحرار الشام شبيهة من بعض الأوجه بتلك التي تتبناها جبهة النصرة (انظر أدناه)، فإن تلك كانت المرة الأولى التي تقر فيها أي من المجموعتين علناً بالتعاون مع المجموعة الأخرى. انظر www.youtube.com/watch?v=K1Rb1l7XWN8.

المجموعتين يقاتلون ويحتفلون معاً.[64] وقال أحد قادة جبهة النصرة في حلب لصحفي أن 300 مقاتل بقيادته كانوا ينسّقون مع لواء التوحيد.[65]

لقد أكسب مثل هذا التعاون الصريح، مع نظرائها الأكبر، جبهة النصرة مديحاً علنياً من قادة بارزين للثوار ومن النشطاء المحليين. في آب/أغسطس أشاد أحد القادة البارزين للواء التوحيد بمساهمة المجموعة، وشرح متحدث باسم المجلس الثوري لحلب وريفها ـ وهي مجموعة بارزة للنشطاء ترتبط بلواء التوحيد ـ أن مقاتلي جبهة النصرة مرحب بهم كـ "أبطال" في المدينة.[66] وعلى نحو مماثل، ظهرت أعلام جبهة النصرة مؤخراً وسط جموع من المتظاهرين الهاتفين خلال مظاهرات يوم الجمعة في بنش، إحدى معاقل المعارضة في محافظة إدلب.[67]

حتى اليوم، فإن جبهة النصرة تظل المجموعة المسلحة النشطة الوحيدة التي تحظى بالقبول المباشر من إداريي منتديات الإنترنت الموالين للقاعدة ومن الشخصيات السلفية ـ الجهادية البارزة. تحظى موادها الدعائية بمصادقة شبكة التوزيع الإعلامية التابعة للقاعدة والتي تظهر على أبرز المنابر الموالية للقاعدة على الإنترنت وهو "شموخ الإسلام".[68] وقد أشار رجال دين سلفيين ـ جهاديين بارزين مرتبطين بالقاعدة بشكل محدد إلى جبهة النصرة على أنها الفصيل الإسلامي الأكثر أصالة وموثوقية في سورية وحثوا الجهاديين المحتملين على الانضمام إلى صفوفها.[69]

وعلى نحو مماثل، فإن الطريقة التي يتم بها عرض مواد جبهة النصرة على الإنترنت وطريقة توزيعها تعكس استراتيجية إعلامية مألوفة لجمهور الجهاديين لكنها فريدة بين المجموعات المسلحة السورية. في حين أن فصائل أخرى تقوم بشكل منتظم بتحديث صفحاتها الرسمية على فيسبوك ويوتيوب بالتوثيق المباشر للهجمات التي تقوم بها، فإن جبهة النصرة تستعمل نموذجاً إعلاميا أكثر بطئاً شبيه بأسلوب القاعدة في العراق. بدلاً من إطلاق البيانات اليومية، فإنها تشير إلى معظم عملياتها بعد أيام من القيام بها، وتصدر بيانات رسمية تغطي عدة هجمات في منطقة معينة.[70] في حالة الهجمات الكبرى فقط تركز بياناتها على حدث واحد، وحتى في مثل تلك الحالات فإن بيانات تحمّل المسؤولية تصدر بعد ما لا يقل عن 24 ساعة وفي بعض الأحيان بعد ذلك بكثير.[71] أما مقاطع الفيديو التوثيقية

---

[64] في فيديو أطلق على يوتيوب في 27 تموز/يوليو، أعلن ستة مقاتلين مسؤوليتهم عن تعطيل دبابة للجيش نيابة عن جبهة النصرة ولواء التوحيد، www.youtube.com/watch?v=tKlkJM95nhA. مقطع فيديو منفصل أطلق في 13 آب/أغسطسصوّر مقاتلاً يلوّح بعلم جبهة النصرة ويحتفل بين مقاتلين من لواء التوحيد ومدنيين محليين. وخلال ثلاثة عشرة دقيقة من الغناء والرقص اللذين لا يمارسهما الجهاديون عادة، فإن المحتفلين غنوا وهتفوا للجيش السوري الحر، ولواء التوحيد وجبهة النصرة، www.youtube.com/watch?v=Qdn33XS6TY0. وعلى نحو مماثل، فإن مقطع فيديو لهجوم كبير نُفّذ في 7 أيلول/سبتمبر على منشأة عسكرية في حي هنانو في حلب أطلقته كتائب أحرار الشام تحدث عن جبهة النصرة ولواء التوحيد على أنهما شاركا في العملية، www.youtube.com/watch?v=tKlkJM95nhA. جبهة النصرة أكدت دورها في هجوم هنانو في بيان رسمي صدر في 24 أيلول/سبتمبر؛ إلا أن البيان لم يذكر لا أحرار الشام ولا لواء التوحيد، ولا أي شريك آخر في التنفيذ. انظر الإعلان رقم 83.

[65] انظر Justin Vela and Liz Sly "In Syria group suspected of al-Qaeda links gaining prominence in war to topple Assad" *The Washington Post*،19 August 2012، وكذلك تدمير دبابة في 27 تموز/يوليو في حلب أعلن مقاتلون القيام به في الموقع نيابة عن جبهة النصرة ولواء التوحيد، المرجع السابق.

[66] انظر قائد عمليات لواء التوحيد عبد القادر الصالح مع أحمد زيدان، مراسل الجزيرة في حلب، "لقاء اليوم"، 11 آب/أغسطس 2012، www.youtube.com/watch?v=r7yiezX66x4; also Vela and Sly op. cit.

[67] أظهرت مقاطع الفيديو التي ظهرت على يوتيوب والتي التقطت خلال مظاهرات يوم الجمعة في بنش في 6 و 27 تموز/يوليو 2012 عدداً من أعلام جبهة النصرة إضافة إلى عدد من الأعلام الإسلامية البيضاء ورايات كتائب أحرار الشام، رغم أن هذه الأعلام شكلت أقلية وسط أعلام الثورة المقبولة على نطاق أوسع، www.youtube.com/watch?v=Um5tbSa7dkI; www.youtube.com/watch?v=dY_WbsJwK1w.

[68] كما وصفنا أعلاه، فإن أنصار القاعدة على الإنترنت يعتبرون شبكة "شموخ الإسلام" (shamikh1.info) الموقع الجهادي الرئيسي؛ كما أن قرار مدراء المنتدى عرض مواد المجموعة يمنحها ختم المصادقة. معظم المواد الدعائية التي تظهر على الموقع تنتجها جماعات مرتبطة بالقاعدة وتحمل علامة مركز الفجر الإعلامي، الجهة المسؤولة عن توزيع مواد القاعدة على الإنترنت. رغم أن هذا لا ينطبق على المواد الدعائية لجبهة النصرة، فإن عمر بكري، إحدى الشخصيات السلفية ـ الجهادية البارزة في لبنان، أكد على أن موادها تنشر من قبل الفجر، *والقدس العربي*، 23 آذار/مارس 2011.

[69] شخصيات سلفية ـ جهادية بارزة منحت مصادقتها لجبهة النصرة ، بما في ذلك أبو المنذر الشنقيطي (العضو البارز في اللجنة الفقهية لمنبر التوحيد والجهاد، وهو موقع على الإنترنت تتمتع منشوراته بوزن كبير في أوساط الجهاديين)؛ وهاني السباعي (وهو سلفي ـ جهادي مصري معروف)؛ وأبو سعد الهميلي (الكاتب الجهادي البارز الذي لا يعرف أصله والذي ينشر آراءه على "شموخ الإسلام")؛ وأبو محمد الطهاوي (السلفي ـ الجهادي الأردني المؤثر). تعتبر بيانات الشنقيطي والهميلي هامة على نحو خاص لأنها تناقش ما ينبغي فعله مع الجيش السوري الحر. يحث الأول جميع السلفيين السوريين على الانضمام إلى جبهة النصرة وعلى عدم الاصطدام بالجيش السوري الحر، وبالفعل، فإنه يشجعهم على التعامل مع الفصائل غير السلفية عندما يكون ذلك مفيداً للصراع. أما الهميلي فلهجته أقل ترحيباً بالجيش السوري الحر؛ حيث ينتقد قادته على تبني "ديمقراطية الكفار" كدين لهم وقبولهم بشرعية المؤسسات الدولية والأنظمة العربية "الكافرة". إلا أنه يقر بمساهمة الجيش السوري الحر بالقتال ويوضح بأنه لا يدعو السلفيين إلى الاصطدام معه. انظر www.tawhed.ws/FAQ/pr?qid=6372&PHPSESSID=41a18da6e199fb9a7b5cc894cc9e935c؛ ؛ انظر أيضاً مقالة سعد الهميلي، واجب التأييد والنصرة لجبهة النصرة" www.shamikh1.info/vb/showthread.php?t=152922.

[70] في 14 تموز/يوليو، أصدرت جبهة النصرة بياناً، "بعض العمليات العسكرية في دمشق وريفها"، يذكر ستة هجمات بين 20 حزيران/يونيو و 12 تموز/يوليو. وتستعمل عناوين بيانات جبهة النصرة الأخرى التي تعلن عن هجمات في محافظات أخرى نفس الشكل، وهو شبيه بذاك الذي تتبناه "دولة العراق الإسلامية"، وهي المظلة الجهادية في العراق التي تسيطر عليها القاعدة في العراق. انظر إعلان جبهة النصرة رقم 33.

[71] أعلنت جبهة النصرة مسؤوليتها عن التفجير الذي حدث في 24 نيسان/أبريل بسيارة تابعة لأمن النظام خارج المركز الثقافي الإيراني في

فتصدر متأخرة أكثر من ذلك، حيث تلجأ المجموعة عادة إلى تقديم موادها بطريقة أكثر استعراضية وكفاءة من الناحية التقنية مما تفعله المجموعات الأخرى.[72] علاوة على ذلك، فإن كل شيء ينشر من خلال المنتديات الجهادية على الإنترنت، ما يشكل دليلاً على صدقيتها لأنصارها على الإنترنت الذين يسارعون إلى إعادة نشرها على فيسبوك، ويوتيوب، وتويتر ومواقع أخرى.

المفارقة هي أن هذه الاستراتيجية الفريدة في التوزيع أسهمت في بقاء المجموعة مغمورة نسبياً في مشهد مزدحم بالمجموعات المسلحة. كتائب الجيش السوري الحر والفصائل السلفية المستقلة، التي تطلق تصريحات سريعة ومقاطع فيديو على يوتيوب، حققت لنفسها سمعة بين الجماهير الموالية للمعارضة والمعتادة على متابعة الأحداث بإيقاع يقترب من حدوثها على الأرض. تتم إعادة إرسال المواد والفيديوهات على صفحات فيسبوك التي تحظى بالشعبية وبسرعة وتظهر على القنوات التلفزيونية العربية الصديقة؛ وهذا يقدم للجمهور المناصر للانتفاضة معرفة تقريبية، إن لم تكن بالضرورة دقيقة، حول الفصائل المسلحة الأكثر نشاطاً وأين تنشط. على النقيض من ذلك، فإن الإيقاع البطيء والمتأخر لجبهة النصرة يتعارض مع شهية الجمهور للإشباع الفوري، ويحد من قدرة المجموعة على صياغة النقاشات ويقلّص مستوى قبولها بشكل عام.[73] بالنسبة لأولئك الراغبين في تجاهل دورها، فإن ذلك سهّل تجاهُل هذا الدور المتنامي.[74]

2. المجموعات السلفية الأخرى

في حين أن جبهة النصرة ظهرت على أنها المجموعة المفضلة لدى أنصار القاعدة، فإن مجموعات سلفية مستقلة أقل شهرة أثبتت نجاحاً أكبر في الحصول على موطئ قدم في أوساط المعارضة المسلّحة الرئيسية. إنها تحتل فعلياً موقعاً وسطاً بين جبهة النصرة والجيش السوري الحر.

على عكس جبهة النصرة، فإنها لم تعلن مسؤوليتها عن هجمات في الأحياء المدنية؛ ولم تصرح علناً بتبنيها للتفجيرات الانتحارية؛ وابتعدت عن خطاب الجهاد العالمي المرتبط بشكل عام بالقاعدة. ومن جهة أخرى، وعلى النقيض من الفصائل الرئيسية للجيش السوري الحر، فإنها تبرر اللجوء إلى العنف حصرياً داخل مرجعية إسلامية؛ وتعلن أن هدفها النهائي هو تحقيق الحكم الإسلامي؛ ولا تقدم تطمينات لجهة إقامة نظام ديمقراطي بعد رحيل الأسد. وفي نفس الروح، فإنها تنزع لتبني الصور والخطاب السلفيين، وتضيف أعلاماً إسلامية سوداء إلى علم المعارضة الثلاثي الألوان وتطعّم فيديوهاتها بالأناشيد التي تمجد الجهاد، وهي العلامة البارزة المرتبطة بالدعاية الإسلامية المتشددة. كما أن هذه المجموعات تنزع إلى الإشارة إلى عدوها بعبارات مذهبية صريحة.

تشير النقاشات التي تجري على الإنترنت إلى أن الجماعات السلفية المستقلة كانت حتى الآن أكثر فعالية من جبهة النصرة في تحقيق المصداقية بين الأنصار الرئيسيين للثورة. رغم أنها تحظى بتغطية إعلامية أقل من تلك التي يحظى بها نظراؤها في الجيش السوري الحر على شبكات التلفزة الفضائية العربية وتعتنق أيديولوجيا تبقى

وسط دمشق بعد ستة أيام. وتصدر عدة إعلانات متأخرة كهذه معاً ودفعة واحدة أحياناً؛ هكذا، وفي 20 آب/أغسطس، أصدرت جبهة النصرة بيانات تعلن فيها مسؤوليتها عن التفجيرات التي حدثت بين 26 حزيران/يونيو و 17 آب/أغسطس (البيانات رقم 3، 51، 52، 53، 54، 55، 56).

[72] أصدرت جبهة النصرة مقطعاً عن تفجير الميدان، دمشق، في 6 كانون الثاني/يناير في فيديو مدته 45 دقيقة في 26 شباط/فبراير؛ وأطلقت فيديو آخر عن تفجير شباط/فبراير في حلب في 25 نيسان/أبريل. كما تم تضمين مقاطع عن عدة هجمات في فيديو مدته 54 دقيقة في 22 أيار/مايو. انظر فيديوهات جبهة النصرة: غزوة الثأر لحرائر الشام، غزوة الثأر لأهل حمص وصدق الوعد. الفيديو الرابع الذي يوثق عمليات جبهة النصرة صدر في 19 آب/أغسطس، وهو يحتوي بشكل أساسي مقاطع لهجمات تمت قبل أواسط حزيران/يونيو. انظر صدق الوعد 2.

[73] انتظرت جبهة النصرة حتى 2 تموز/يوليو كي تصدر بياناً تعلن فيه مسؤوليتها عن الهجوم الذي شنته في 27 حزيران/يونيو على محطة الإخبارية الموالية للنظام؛ ورغم أن تاريخ البيان كان 30 حزيران/يونيو، فإنه نشر بعد يومين. في ذلك الوقت كانت النقاشات حول العملية قد خفتت، والرواية الأكثر تداولاً على وسائل الإعلام المؤيدة للمعارضة ووسائل الإعلام الاجتماعية قدمها المتحدث باسم الجيش السوري الحر مالك الكردي. زعم أن الهجوم نفّذه جنود منشقون عن الحرس الجمهوري. وفي هذه الحالة فقد منع التأخير جبهة النصرة من استغلال الاهتمام الكبير في الساعات الأولى التي أعقبت الهجوم. انظر بيان جبهة النصرة رقم 32، "ريف دمشق ـ اقتحام مبنى قناة الإخبارية السورية"؛ وأيضاً "هجوم على مقر الإخبارية السورية يوقع ثلاثة قتلى ... ووزير الإعلام يحمّل الجامعة العربية المسؤولية، *الشرق الأوسط*، 28 حزيران/يونيو 2012. وعلى نحو مماثل، فإن جبهة النصرة لم تعلن مسؤوليتها عن هجوم 26 أيلول/سبتمبر على مقر الأركان العامة في دمشق حتى اليوم التالي؛ وعندئذ كانت وسائل الإعلام العربية والدولية قد عزت هجوم لتجمع أنصار الإسلام (وهو تحالف بين الجيش السوري الحر والفصائل السلفية نناقشه أدناه)، الذي أعلن مسؤوليته في إعلانات على فيسبوك وفي ظهور على وسائل الإعلام مباشرة بعد العملية. انظر بيان جبهة النصرة رقم 84؛ وأيضاً www.facebook.com/photo.php?fbid=304186833021554&set=a.290553997718171.65456.287251144715123&type=1 and www.youtube.com/watch?v=6tZcWnD-7Ls.

[74] في مناسبات نادرة عندما أصدرت بيانات علنية مبكرة، أحدث هذا التكتيك أثراً عكسياً. وهكذا فإن جبهة النصرة أعلنت مسؤوليتها عن تفجيرات 3 تشرين الأول/أكتوبر في ساحة سعد الله الجابري في حلب بعد اثنتي عشرة ساعة من الهجوم. وطبقاً لبيانها، فإنها استعملت انتحاريين اثنين، وسيارتين مفخختين ووحدة صغيرة من المقاتلين في العملية، التي دمرت نادي الضباط، ومقهى وفندق يُستعمل على ما ذُكر من قبل جنود النظام وعناصر الأمن، وألحقت أضراراً كبيرة بفندق آخر. طبقاً لوسائل الإعلام الرسمية، فإن 34 شخصاً قتلوا في التفجير، بما في ذلك جنود ومدنيين. رغم أن بعض القنوات التلفزيونية المؤيدة للمعارضة وصفحات وسائل الإعلام الاجتماعية تجاهلت بيان جبهة النصرة ـ لا الجزيرة ولا صفحة فيسبوك الرئيسية المؤيدة للثورة (facebook.com/Syrian.revolution) ذكرته في تغطيتها الواسعة والمتعاطفة للتفجيرات ـ فإن البيان ركز اهتمام وسائل الإعلام المحلية على المجموعة، وبصورة سلبية بشكل رئيسي. انظر بيان جبهة النصرة رقم 96؛ وأيضاً "وزارة الداخلية: 34 شهيداً، 122 جريحاً في التفجيرات الإرهابية في حلب"، وكالة الأنباء العربية السورية، 3 تشرين الأول/أكتوبر 2012؛ Tim Arango and Anne Barnard "Turkey strikes back after Syrian shelling kills 5 civilians" *The New York Times*,3 October 2012.

إشكالية داخل صفوف المعارضة، فإنها لا تطلق حملات علاقات عامة ترتبط بالقاعدة وبالتالي فإن كثيرين في المعارضة ينظرون إليها على أنها لاعب مشروع.[75] تزعم المجموعات السلفية المستقلة بأنها تنسق عملياتها مع وحدات الجيش السوري الحر، وغالباً ما لا يميز أنصار المعارضة على الإنترنت بين الاثنين، رغم الشكل المختلف لموادهما الدعائية ورغم اختلاف أيديولوجيتهما.[76]

لا يبدو أن المصداقية التي حظيت بها مثل تلك المجموعات السلفية المستقلة لدى الدوائر الوسطية تحققت على حساب الدعم الذي يحظى به الجهاديون. رغم أن عملياتهم لا تحظى بمصادقة الشخصيات الجهادية الرئيسية أو منتديات الإنترنت ذات الصلة بالقاعدة، فإن هذه العمليات تحظى عادة بمديح المتعاطفين مع الجهاديين الذين ينشرون موادهم الدعائية أيضاً على الإنترنت، وفي بعض الأحيان يذهبون إلى حد دعوة المجموعات لتشكيل جبهة موحدة مع جبهة النصرة.[77]

كتائب أحرار الشام

تعرف أبرز المجموعات السلفية المستقلة، كتائب أحرار الشام، بلجوئها إلى هجمات تستعمل فيها العبوات المزروعة على جوانب الطرق وبحملاتها الدعائية المتقدمة على الإنترنت. رغم أنها تعلن أحياناً مسؤوليتها عن هجمات بالتعاون مع كتائب الجيش السوري الحر، فإنها تصف نفسها بأنها بديل سلفي مستقل لتلك المجموعة الأشهر.[78] وهي تؤكد أن لديها أكثر من 20 "كتيبة" مرتبطة بها في سائر أنحاء البلاد، رغم أن مراجعة لعملياتها المصورة على الفيديو تشير إلى أن أنشطتها تتركز في الشمال الغربي،[79]خصوصاً في محافظة إدلب، حيث تتمتع مجموعات المعارضة بدرجات متفاوتة من السيطرة على بعض المدن والمناطق الريفية. كما أنها تنشط بشكل متزايد في محافظات اللاذقية، وحماة وحلب؛[80] وفي آب/أغسطس، قدّر أحد الصحفيين العاملين في حلب أنه كان لديها 500 مقاتل في المدينة.[81]

كانت المجموعة بين أولى فصائل المعارضة التي توثق الهجمات بالعبوات الناسفة محلية الصنع ضد قوات النظام، وتحدّث بانتظام صفحتها على فيسبوك بفيديوهات لتفجير العبوات الناسفة على جوانب الطرق مستهدفة القوافل العسكرية.[82] وبطريقة مماثلة، فإنها تزعم بأنها أرسلت سيارات محملة بالمتفجرات وموجهة عن بُعد، وهو تكتيك بدأ تجريبه في العراق واستعمل أيضاً من قبل جبهة النصرة.[83] لكن ومع إقرار أعضاءها بأن لديهم خبرات في صنع القنابل اكتسبوها

---

[75] في حين أن المجموعات السلفية المستقلة أقل بروزاً من الجيش السوري الحر، فإنها تتمتع فيما يبدو بدعم مجموعات المعارضة المحلية النشطة على الإنترنت. الصفحة الرئيسية للنشطاء على فيسبوك والمخصصة لمدينة دوما في ريف دمشق، وهي معقل رئيسي للمعارضة، تنشر بانتظام مواداً للواء الإسلام وتشجع مستخدمي الموقع على متابعة المواد التي تضعها المجموعة على الإنترنت.
انظر
facebook.com/Douma.Revolution/posts/330681980346057.www. وعلى نحو مماثل، فإن المواد التي تنشرها كتائب أحرار الشام بانتظام تنشرها مجموعات النشطاء في إدلب وطرطوس؛ وتظهر المواد الدعائية للواء صقور الشام (نناقشه أدناه) على صفحات المجموعات العاملة في إدلب وحلب؛ ومواد كتيبة الأنصار (نناقشها أدناه) تنشر على مجموعة من صفحات النشطاء في حمص.

[76]إحدى المواد المعروضة على صفحة رئيسية مؤيدة للثورة على فيسبوك تحتوي فيديو لكتائب أحرار الشام بجوار عنوان عريض يقول "الله يحمي جيشنا الحر العزيز"،
www.facebook.com/Syrian.Revolution/posts/304042383018391.

[77] أنصار القاعدة على الإنترنت ينشرون عادة فيديوهات وبيانات من قبل المجموعات السلفية المستقلة ويسعون لإبراز أن هذه المجموعات منفصلة عن الجيش السوري الحر وتهدف إلى تأسيس الحكم الإسلامي بدلاً من الديمقراطية. وهكذا، فإن دعوة أحد المتعاطفين مع القاعدة لجبهة النصرة، وكتائب أحرار الشام، وصقور الشام، وكتيبة الأنصار ولواء الإسلام لتنسيق رسائلها والتوحّد تحت راية سلفية مشتركة أعيد نشرها على المنتديات الجهادية وغير الجهادية،
http://img713.imageshack.us/img713/1954/000000mi.jpg;
http://hanein.info/vb/showthread.php?t=291240;
www.shababsyria.org/vb/showthread.php/66150.

[78] كما ذكرنا، فبحلول 15 أيلول/سبتمبر 2012، كانت كتائب أحرار الشام أيضاً قد أعلنت مسؤوليتها عن عمليتين قامت بهما بالتعاون مع جبهة النصرة.

[79] احتفظت كتائب أحرار الشام بقائمة لكتائبها في الجزء المخصص لـ "حول المجموعة" على صفحتها على فيسبوك،
www.facebook.com/A.AlSham.B/info. كانت هذه الرابطة نشطة في 6 تشرين الأول/أكتوبر 2012 إلا أنه وكما هو حال العديد من مجموعات الثوار، فإن الصفحة تُزال بشكل متكرر عن فيسبوك.

[80] انظر المواد التي تنشرها كتائب أحرار الشام والتي تصف عملياتها على الموقع www.facebook.com/A.AlSham.B and http://twitter.com/Ahraralsham ؛ انظر أيضاً David Enders "In Northern Syria rebels now control many towns and villages" McClatchy Newspapers,7 June 2012.

[81] انظر Richard Spencer "British convert to Islam vows to fight to the death on Syrian rebel front line" *The Telegraph*,16 August 2012.

[82] أطلقت كتائب أحرار الشام أول فيديو يصور تفجير عبوة ناسفة على جانب طريق في 15 شباط/فبراير 2012. أصابت العبوة قافلة عسكرية قرب جسر الشغور. انظر
www.youtube.com/watch?v=HYQXCsjK3I4. وتظهر صفحتها على فيسبوك بيانات تعلن القيام بعمليات نيابة عن الكتائب المرتبطة بها، والتي يحتفظ البعض منها بصفحات خاصة على فيسبوك. تُتبع المجموعة بشكل منتظم بياناتها بفيديوهات لعمليات مختارة؛ كما تضم صفحتها على فيسبوك تسجيلات صوتية وفيديوهات ترويجية تطلقها كتائب مرتبطة بها وتشير إلى روابط مباشرة بصفحة الدعوة، التي نناقشها أدناه. تتم إزالة الصفحة بشكل منتظم على ما يبدو من قبل مدراء الموقع. كما أنها تدير موقعاً على الإنترنت (www.ahraralsham.com)، وعلى تويتر (http://twitter.com/Ahraralsham)، وصفحة تصنف الفيديوهات التي أطلقتها (www.dailymotion.com/K-AhrarAlsham#video=xs7csm).

[83] انظر مسح الكاتب السلفي ـ الجهادي أكرم حجازي لمشهد المجموعات المسلحة بعنوان "خريطة القوى المسلحة"، 12 حزيران/يونيو 2012 على الموقع
www.paldf.net/forum/showthread.php?t=1003838.

من الجهاديين الذين قاتلوا في العراق وأفغانستان، فإنهم ينكرون أن هناك مقاتلين أجانب في صفوفهم.[84]

قضية التفجيرات الانتحارية أكثر دقة وحساسية. خلال الأشهر الأربعة الأولى التي أعقبت ظهورها الرسمي في كانون الثاني/يناير 2012، لم تعلن كتائب أحرار الشام عن مسؤوليتها عن أي من هذه الهجمات؛ لكن مؤخراً، أصبح الوضع أكثر تشوشاً. في 7 حزيران/يونيو، نفذت عملية بشاحنة على نقطة تفتيش للنظام قرب بلدة خان شيخون في محافظة إدلب؛ وأعلنت المجموعة عن الهجوم على فيسبوك ويوتيوب في اليوم التالي، مؤكدة أن السيارة كانت تقاد عن بعد.[85] قائد كتائب أحرار الشام في خان شيخون ناقض تلك الرواية وقال إن مجموعته كانت قد شنت هجوماً على نقطة تفتيش في نفس ذلك اليوم مستعملة انتحارياً في التاسعة عشرة من عمره. وأضاف أنه، ورغم أن تلك العملية الانتحارية كانت الأولى لكتيبته، فإن كتائب أخرى لأحرار الشام كانت قد لجأت بشكل منفصل إلى هذا التكتيك من قبل.[86]

من خلال التواصل على الإنترنت، تقدم كتائب أحرار الشام أهدافها الرئيسية ومعتقداتها الأيديولوجية على أنها خوض الجهاد ضد الجهود التي تقودها إيران لفرض سيطرتها على بلاد الشام وتأسيس دولة إسلامية.[87] وهي تكرّس صفحة كاملة على فيسبوك للدعوة، وتحدّث الصفحة باستمرار بتوجيهات سلفية عملية.[88] إضافة إلى ذلك، فهي تشجع الأنشطة الإنسانية، وحمّلت فيديو على يوتيوب يظهر مقاتليها وهو يحزمون المواد الإغاثية ويوزعونها على السكان المحليين.[89]

إن تسارع إيقاع التوسع الجغرافي لعمليات كتائب أحرار الشام ترافق بتحقيق بروز أكبر في وسائل الإعلام، فبحلول مطلع حزيران/يونيو 2012، بات يتم الحديث عنها على أنها أكبر منظمة عسكرية في جبهة ثوار سورية حديثة التشكيل، وهي عبارة عن تحالف سياسي - عسكري يهيمن عليه الإسلاميون. المفارقة أن أحرار الشام رغم إقرارها بدورها القيادي بتأسيس التحالف، فإنها رسمياً علّقت مشاركتها بعد يوم من انطلاقته، في تعبير واضح عن عدم ارتياحها للهجته المعتدلة.[90] بعد ستة أسابيع، عادت المجموعة مرة أخرى وعكست مسارها، ورفعت تعليق عضويتها بعد تبني التحالف لميثاق سياسي جديد - وهو ميثاق يدعو بشكل أكثر صراحة إلى تأسيس دولة إسلامية، ويؤكد الالتزام بـ "المعاهدات والاتفاقيات الدولية طالما لا تتعارض مع مبادئ الشريعة" ويعلن الرغبة بـ "تفعيل الدور الايجابي لسورية في جميع المجالات"، في مسعى لاتخاذ خط حذر بين الموقف الإسلامي الأكثر وضوحاً ومحاولة براغماتية للاحتفاظ بالعلاقات مع المجتمع الدولي.[91]

لواء صقور الشام

تأسس لواء صقور الشام في تشرين الثاني/نوفمبر 2011، ومنذ آذار/مارس 2012، ظهر بصفته إحدى أقوى المجموعات المسلحة في محافظة إدلب، حيث ذُكر أن لديه حوالي 4,000 مقاتل.[92] توضح مواده المنشورة على الإنترنت الخطوط الرمادية الفاصلة بين المجموعات السلفية المستقلة والجيش السوري الحر من جهة وبين بعضها البعض من جهة أخرى؛[93] يزعم لواء صقور الشام بأنه قام

---

[84] انظر Rania Abouzeid "Meet the Islamist militants" op. cit.; also Ruth Sherlock "Al-Qaeda tries to carve out a war for itself in Syria" *The Telegraph* 12 July 2012.

[85] الرسالة الأولى لكتائب أحرار الشام على فيسبوك أشارت إلى الهجوم على نقطة التفتيش لكنها لم تصف كيفية تنفيذه؛ بدلاً من ذلك فإنها لعنت "الكلاب وأتباع إيران". وقد أزيل الفيديو عن يوتيوب من قبل مدراء الموقع (وهو حدث متكرر حيث تمنع قواعد يوتيوب من وصف العنف الفاضح أو المجاني)؛ أعيد تحميل الفيديو مع النص الأصلي بعنوان عملية نسف حاجز السلام/كتائب أحرار الشام، 8 حزيران/يونيو، www.youtube.com/watch?v=RFCV9P90ak4.

[86] David Enders "Syrian rebels now using EFPs in bombs bane of U.S. in Iraq" McClatchy Newspapers,13 June 2012.

[87] في أول تسجيل صوتي لها، قالت كتائب أحرار الشام صراحة إن هدفها هو استبدال نظام الأسد بدولة إسلامية. إلا أنها أقرت أيضاً أنه ينبغي أن تأخذ بالاعتبار الحالة الذهنية الراهنة للسكان، المضللة من قبل المؤسسة الدينية التابعة للنظام. كما وصفت الثورة على أنها جهاد ضد المؤامرة الصفوية لنشر المذهب الشيعي وتأسيس دولة شيعية من إيران إلى العراق إلى سورية ولبنان وفلسطين. وزعم البيان أنه إذا نجحت المؤامرات، فإن ذلك سيشكل نصراً للصهيونية، "لأنه من المعروف أن الرافضة لا يقاتلون العدو؛ بل يديرون سيوفهم ضد السنة". انظر، الكلمة الصوتية الأسبوعية لأحرار الشام - بشائر، www.youtube.com/watch?v=RKm5xzKvYFY.

[88] تقوم كتائب أحرار الشام بتحديث صفحتها الدعوية (www.facebook.com/AlaBasseerah) عدة مرات يومياً بمقاطع قصيرة تقدم توجيهاً وإرشاداً سلفياً. وتضم نصائح عامة حول الممارسات الدينية (على سبيل المثال التحذير من مخاطر تأجيل الصلاة) وحول السلوك الصحيح للمجاهدين (تحذير من السلب والنهب).

[89] تحتوي كل رزمة على مؤن غذائية وكتيبات مصممة لتشجيع الالتزام الديني في الحياة اليومية. أحد الكتيبات التي تظهر في الفيديو بعنوان "حجابك مظهرك وشرفك".

[90] شرحت كتائب أحرار الشام قراراها بالإشارة إلى الموقف الغامض الذي تبناه المتحدث باسم التحالف حيال المجلس الوطني السوري. وأكدت أن كتائب أحرار الشام ، كمجموعة إسلامية ملتزمة، لا تستطيع أن تحتفظ بصلات مع المجلس الوطني السوري. انظر البيان الذي أصدره مكتبها الإعلامي في 5 حزيران/يونيو على صفحة المجموعة على فيسبوك.

[91] انظر الرسالة المنشورة في 18 تموز/يوليو 2012 على صفحة كتائب أحرار الشام على فيسبوك. في بيانات صدرت يوم الإطلاق الرسمي لها في 4 حزيران/يونيو، أعلنت جبهة ثوار سورية التزامها بـ "الإسلام وأطره التشريعية للدولة"، إضافة إلى التزامها بالتعددية الدينية. على نقيض ذلك، فإن الميثاق الجديد، الذي نشر في 18 تموز/يوليو، عرف رؤيتها السياسية بأنها: "الإطاحة بالنظام الحاكم في سورية، وتأسيس حكم إسلامي رشيد، وتقديم رؤية لنهضة الأمة". من بين المبادئ التوجيهية للتحالف، ذكرت الوثيقة أيضاً "تطبيق قانون الله". انظر "الإعلان في اسطنبول عن جبهة موحدة للفصائل العسكرية "الإسلامية" في سورية، الغد [الأردن]، 5 حزيران/يونيو 2012؛ وأيضاً الرسالة بتاريخ 19 تموز/يوليو على صفحة كتائب أحرار الشام على فيسبوك.

[92] انظر Sarah Birke and Katie Paul "Inside Syria's fracturing rebellion" *The New Republic*,30 August 2012.

[93] أعلنت المجموعة تشكيل أولى "كتائبها" في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011 إلا أنها لم تعلن عن قيامها بعمليات عسكرية حتى آذار/مارس. انظر "قسم صقور الشام"، www.youtube.com/watch?v=MYoO4SeZw9Q. في

بعمليات مشتركة مع كتائب أحرار الشام في محافظة إدلب وأن كلا المجموعتين تنسقان الهجمات إلى جانب وحدات الجيش السوري الحر.[94]

في الواقع، وفي أول فيديو تطلقه المجموعة يصور هجماتها، أكد قائد المجموعة أحمد الشيخ، (الذي يشار إليه عادة بـ أبو عيسى)، أنها جزء من الجيش السوري الحر.[95] في الأسابيع التالية أسقط لواء صقور الشام الإشارة إلى الجيش السوري الحر وبدأ على نحو متزايد بتبني الخطاب السلفي، مطلقاً فيديوهات وبيانات باسمه. ومنذ ذلك الحين ظهر الشيخ في فيديو يصدر فيه التعليمات لمقاتليه بأن هدفهم النهائي يجب أن يكون تأسيس دولة إسلامية، وفي 27 تموز/يوليو، ألقى خطبة يحث فيها جمهوره على التركيز على نشر السلوك الإسلامي الصحيح في محيطهم.[96] تنشر الصفحة الرسمية للمجموعة على فيسبوك بشكل منتظم مواد تدعو إلى الحكم الإسلامي؛ وفي إحداها، يخبر السوريين بأن عليهم أن يرفضوا أي هوية وطنية أو قومية، حيث أن الادعاء بالوحدة الوطنية بين السنة والعلويين والمسيحيين "محظورة بشكل مطلق" بموجب الشريعة.[97]

في محاولة واضحة للتوجه إلى أكثر من جمهور ـ من عرب الخليج المحافظين إلى الدول الغربية.[98] ـ فإن لواء صقور الشام خفف على الإنترنت من شدة اعتناقه للخطاب السلفي بتضمينه وجهات نظر أكثر اعتدالا. في اجتماعاته مع الصحفيين الغربيين، على سبيل المثال، يقر الشيخ ومسؤولين آخرين بأن هدفهم النهائي هو إقامة دولة إسلامية لكنهم يتحدثون أيضاً عن ضمان الحقوق الديمقراطية للأقليات ـ وهو موقف أقرب إلى ذاك الذي تتبناه فروع الإخوان المسلمين منه إلى الخطاب السلفي التقليدي.[99]

كما أن موقف المجموعة بشأن التفجيرات الانتحارية غامض أيضاً. في عدة مناسبات، أعلنت مسؤوليتها عن هجمات يقوم فيها شخص بقيادة سيارة محملة بالمتفجرات إلى نقطة تفتيش تابعة للنظام. في أول هذه الأمثلة، أكدت المجموعة أنها لم تكن "عملية استشهادية"؛ بل إنها، كما زعمت، كانت قد خبأت متفجرات في سيارة شخص يُشك بأنه عميل سري للنظام، ثم فجرت السيارة عندما وصل إلى نقطة التفتيش.[100] في المناسبة الثانية، تشير صفحته على فيسبوك إلى عميل للنظام، رغم أن الفيديو الذي يصور التفجير والمنشور على الصفحة يسمي الهجوم بوضوح "عملية استشهادية".[101]

حزيران/يونيو 2012، لاحظ مراسل الأسوشييتد برس الذي قضى وقتاً في إدلب أن قائد لواء صقور الشام أحمد عيسى الشيخ "هو أحد أقوى القادة في شمال سوريا وأفضلهم تسليحاً"، حيث يزعم أن تحت أمرته أكثر من 1,000 مقاتل. انظر Ben Hubbard "Syria rebels divided at times violent" Associated Press 23 June 2012.

[94] في 9 نيسان/أبريل، أطلق لواء صقور الشام فيديو يعلن فيه مسؤوليته عن الهجوم بعبوة ناسفة على قافلة عسكرية بالتعاون مع كتائب أحرار الشام. الصوت المصاحب للفيديو هو نشيد يستعمل عادة من قبل المجموعات الإسلامية المسلحة. www.youtube.com/watch?v=z1JgmluoI4E. كما أن صفحته الرسمية على فيسبوك "تحب" كتائب أحرار الشام وصفحتها الدعوية وتنشر فيديوهات عن عمليات المجموعة، www.youtube.com/watch?v=z1JgmluoI4E. في 17 نيسان/أبريل، ضمت صفحته على فيسبوك مادة تحث القراء على الدعاء من أجل أعضاء المجموعة الذين يقاتلون إلى جانب "أبطال آخرين من الجيش السوري الحر" في أريحا، وهي مدينة صغيرة في محافظة إدلب، www.facebook.com/sqooralsham.

[95] فيديو لواء صقور الشام، "عمليات بالجملة ضد جيش بشار الأسد، بيان قائد صقور الشام يتحدث عن عمليات الجيش السوري الحر 12 آذار/مارس 2012".

[96] أوضح الشيخ أن الصراع ينبغي أن يهدف إلى تأسيس دولة إسلامية، رغم أنه أضاف أن ذلك لا يقضي بطرد غير المسلمين. أكد على أنه، في المرحلة الراهنة، ينبغي أن يتعاونوا مع الجميع، بما في ذلك غير المسلمين، ملاحظاً أن النبي تحالف مع المسيحيين واليهود. لكنه قال إن الوقت سيأتي وسيتحرك المقاتلون قدماً ويرفضون قبول أن تكون سورية أي شيء آخر إلا إسلامية. انظر "حلقة علم للواء صقور الشام يقدمها قائد اللواء"، 21 نيسان/أبريل، www.youtube.com/watch?v=gUg_2A82QBw. أُلقيت الخطبة في جامع في جبل الزاوية في محافظة إدلب وأكدت على أهمية "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، "خطبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، 27-7-2012، www.youtube.com/watch?v=ijLIbjiXKQg.

[97] استحضرت المادة "الولاء والبراءة"، وهي مفهوم سلفي يحث المؤمنين على إبعاد أنفسهم عن غير المسلمين. انظر المادة المنشورة في 17 أيار/مايو على الصفحة الرسمية للمجموعة، www.facebook.com/sqooralsham/posts/418817458152113.

[98] يعترف أعضاء لواء صقور الشام بتلقيهم الأموال من المغتربين السوريين والعرب الآخرين. انظر Ben Hubbard "Syria rebels divided at times violent" op. cit. في آب/أغسطس 2012، وفي مؤشر محتمل على مصادر تمويلها، أعلنت المجموعة عن استضافة وفدين زائرين: واحد يقوده عماد الدين الرشيد، وهو سياسي إسلامي سوري معتدل في المنفى (انظر www.youtube.com/watch?v=wlMhWyyHTcM)، الذي يُذكر أنه يموّل المقاتلين في حمص وفي مناطق أخرى، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء، حمص، تشرين الثاني/نوفمبر 2011 وأيار/مايو 2012؛ والآخر عبارة عن مجموعة ضمت أعضاء سلفيين في البرلمان البحريني شكرهم الشيخ على دعمهم، www.youtube.com/watch?v=oOXKTpsRILM.

[99] انظر Tracey Sheltion "Syria: a revolution divided" *GlobalPost*,9 July 2012. أحد أعضاء مجموعة لنشطاء إدلب أصر أن لواء صقور الشام، على عكس كتائب أحرار الشام، لم يكن سلفياً. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع طبيب درس في الغرب وعضو في المجلس الثوري لإدلب، تموز/يوليو 2012.

[100] انظر "عملية نوعية: تفجير حاجز كامل عن بُعد ـ لواء صقور الشام"، 18 نيسان/أبريل 2012، www.youtube.com/watch?v=bqykh57BjTk. بن هوبارت، الصحفي العامل في الأسوشييتدس برس، ذكر أيضاً أن لواء صقور الشام يشن هجمات باستعمال متعاملين دون معرفتهم وقام بإعدام جنود النظام الذين أسرهم. انظر "Syria rebels divided at times violent" op. cit.

[101] انظر المادة المنشورة على فيسبوك في 10 أيار/مايو 2012، والتي تصف استعمال عملاء أحياء للنظام في تفجيرات السيارات كـ "سياسة" تتبعها المجموعة، www.facebook.com/sqooralsham/posts/412473888774381. (الرابطة التي توصل إلى الفيديو المذكور في المادة لم تعد نشطة).

مهما يكن من أمر، فإن لواء صقور الشام كان أول مجموعة مسلحة غير جبهة النصرة تعلن عن استخدامها للعبوات الناسفة التي تحملها سيارات يقودها سائقون أحياء، كتكتيك يرتبط عادة بالعناصر الأكثر تطرفاً في المجموعات المسلحة العراقية. ومنذ ذلك الحين تم تبني الأسلوب من قبل كتائب أحرار الشام، التي تزعم بدورها بأنها تتشاطر قدراتها في تفجير السيارات عن بُعد مع لواء صقور الشام. وكان التعاون بين هاتين المجموعتين واضحاً بين أواسط حزيران/يونيو وأواسط تموز/يوليو 2012، عندما أعلنا مسؤوليتهما على الأقل عن ثلاثة تفجيرات مترابطة تستهدف نقاط تفتيش للنظام ونفذت بواسطة سيارات.[102]

لواء الإسلام

ينشط لواء الإسلام في دوما وضواحي دمشق القريبة منها منذ آذار/مارس 2012 ويشكل دليلاً آخر على مرونة الخطوط الفاصلة بين الجماعات السلفية المستقلة عن وحدات الجيش السوري الحر.[103] اللواء وكتيبة شهداء دوما التابعة للجيش السوري الحر يعلنان عن عمليات مشتركة، ويشيدان بالأنشطة المستقلة لكليهما بصورة لا تخلو من تندر على صفحات فيسبوك.[104]

يبدو أن الفرق الرئيسي بين المجموعات لا يتعلق بالاستراتيجية والتكتيك بقدر ما يتعلق بالأيديولوجيا واللهجة، رغم أن هذه الاختلافات لم يكن لها أثر ملموس على استعداد لواء الإسلام للتعاون مع الجيش السوري الحر.[105] على عكس نظرائه في الجيش السوري الحر، فإن لواء الإسلام اختار العلم الإسلامي الأسود؛ ويعرّف نفسه على أنه جماعة "جهادية مقاتلة"؛ ويقوم بهجمات باسم "الجهاد في سبيل الله"؛ ويعتنق المفهوم السلفي للشريعة.[106] تتميز لهجة ومحتويات مواده الدعائية بصبغة دينية قوية، ودلالات سلفية تتناقض مع الخطاب الإسلامي الأوسع والأكثر عمومية الذي تتبناه مجموعات الجيش السوري الحر. تضم الشخصيات الدينية السلفية البارزة التي تؤيدها المجموعة عدنان العرعور (وهو رجل دين سوري يتمتع بنفوذ كبير نناقشه أدناه) ونبيل ألعوضي، وهو داعية كويتي يتمتع بشخصية كاريزمية وتظهر خطبه الانتقادية اللاذعة للشيعة بشكل بارز في المواد التي تُبث على الإنترنت.[107] كما يحتفظ بصفحة خاصة على فيسبوك تهدف لإيضاح مواقفه الأيديولوجية وتشجع على السلوك السلفي بين مقاتلي اللواء.

تتميز المواد التي ينشرها على صفحة فيسبوك بالمذهبية المفرطة رغم أن المجموعة سعت للتوضيح بأنها لا تحبذ حرباً شاملة ضد العلويين.[108] في إحدى الفتاوى، تشرح اللجنة الشرعية للواء أن الثوار

---

[102] المادة التي نشرتها كتائب أحرار الشام على فيسبوك في 10 تموز/يوليو أعلنت عن هجوم تم في ريف اللاذقية بواسطة سيارة مفخخة يقودها أحد أفراد الشبيحة.
www.facebook.com/K.AhrarAlsham/posts/260338394074718؛ وبيانها أيضاً في 13 تموز/يوليو الذي تعلن فيه مسؤوليتها عن تفجير السيارة بالاشتراك مع لواء صقور الشام عن طريق التحكم عن بعد،
http://hanein.info/vb/showthread.php?t=288298. زعمت المجموعتان أنهما نفذتا التفجيرات عن طريق السيارات بشكل مشترك في 16 حزيران/يونيو و 8 تموز/يوليو.
www.youtube.com/watch?v=yEL-_JYipb4.

[103] في أواسط عام 2012، اكتسب لواء الإسلام سمعة بوصفه أحد أنشط الفصائل العاملة في دوما، معقل الثوار على مشارف العاصمة. يستمد اللواء مكانته البارزة حالياً من كونه أول من يعلن مسؤوليته عن التفجير الذي تم في 18 تموز/يوليو والذي أدى إلى مقتل أربعة مسؤولين أمنيين رفيعين في النظام في حي الروضة الراقي في دمشق. شكل الهجوم إلهاما للمقاتلين الثوار لتصعيد أنشطتهم في العاصمة خلال الأسبوع الذي تلاه. أعلن لواء الإسلام مسؤوليته عن التفجير على صفحته على فيسبوك وفي مقابلة مباشرة على الجزيرة. ظهر ادعاء منافس بعد ساعات، ولم يقدم أي دليل.
www.facebook.com/photo.php?fbid=287406054700421&set=a.267988626642164.59029.254125888028438&type=1. لم تعد هذه المادة متوافرة نظراً لإزالة صفحة لواء الإسلام عن فيسبوك. كما أن عدداً من الروابط الموصلة إلى فيسبوك والواردة أدناه لم تعد فاعلة. بحلول 9 تشرين الأول/أكتوبر، كان يمكن الوصول إلى الصفحة الرسمية للمجموعة على الموقع
www.facebook.com/LwaAlaslamTjmAlansar.

[104] انظر صفحتي لواء الإسلام وكتيبة شهداء دوما على فيسبوك/www.facebook.com/islam.fsa www.facebook.com/IslamicBrigade and www.facebook.com/Duma.martyrs.battalion. لرؤية مثال عن إشادة لواء الإسلام بشهداء دوماً، انظر المادة المنشورة في 12 أيار/مايو على صفحته؛ حيث تتضمن صورة لمقاتلي شهداء دوما تحت عنوان، "إخواننا المجاهدون من كتيبة شهداء دوما. الله يحميكم يا أبطال وعسى أن يقوينا ويقويكم"،
www.facebook.com/islam.fsa/posts/309360499141607؛ انظر أيضاً المادة المنشورة في 10 أيار/مايو التي يشكر فيها لواء الشام شهداء دوما وكتيبة محلية أخرى على جهودهما في الدفاع المشترك عن المدينة،
www.facebook.com/photo.php?fbid=230460870393059&set=a.204310096341470.35872.204198289685984&type=1.

[105] في آب/أغسطس 2012، انضم لواء الإسلام إلى فصائل بارزة في الجيش السوري الحر تنشط في سائر أنحاء العاصمة لتشكيل تجمع أنصار الإسلام، الذي نناقشه أدناه.

[106] انظر www.facebook.com/IslamicBrigade/info.

[107] صفحة الدعوة التي تنشرها المجموعة على فيسبوك، www.facebook.com/is.br.gr.، والتي لم يعد ممكناً الوصول إليها بعد استبدالها بصفحة جديدة على العنوان www.facebook.com/liwaaislamlejnaelmia. تضع كتيبة مرتبطة بلواء الإسلام صورة نبيل العوضي في أعلى صفحتها على فيسبوك، مصحوبة بمقتبس منه يحذر من المخاطر التي ستترتب على انتصار "صفوي" في سورية. في 18 أيار/مايو، نشرت نفس الصفحة مقطع فيديو لخطبة للعوضي يفصل فيها ما يزعم أنه مؤامرة شيعية إقليمية ويصف العلويين بأنهم التهديد الأكثر خطورة على الأمة الإسلامية،
www.facebook.com/forsanalsona and www.facebook.com/forsanalsona/posts/364119506985843. لم يعد من الممكن الوصول إلى هذه الصفحة بعد أن استبدلت بصفحة أخرى على العنوان
www.facebook.com/forsanalsona/posts/364119506985843w ww.facebook.com/forsanalsona and. كما تقتبس صفحة لواء الإسلام بشكل متكرر من مقولات أكرم حجازي، وهو كاتب سلفي - جهادي يحظى بشعبية بين الجهاديين على الإنترنت. انظر www.facebook.com/IslamicBrigade/posts/288197561287937.

[108] غالباً ما تشير المواد المنشورة إلى قوات الحكومة على أنها "الجيش النصيري [العلوي]" وتصف الفتاوى بشكل متكرر العلويين بأنهم كفار.

ينبغي أن يقاتلوا مقاتلي النظام بصرف النظر عن طائفتهم وأن الدعوات إلى التطهير العرقي ضد المدنيين العلويين غير مشروعة دينياً ولا تنسجم مع المصالح الأوسع للثورة.[109] رغم أنه لا يمكن الادعاء بأن المجموعة غير مذهبية، إلا أن مثل هذه التأكيدات تميزها (وتميز منظمات سلفية مستقلة أخرى) عن المواقف التي تتبناها القاعدة في العراق وجبهة النصرة ـ حيث استهدفت الأولى الشيعة لسنوات وهددت الثانية بالتعامل مع العلويين بطريقة مماثلة.[110]

كتائب الأنصار

تصف كتائب الأنصار، النشطة منذ آذار/مارس 2012 في مدينة حمص وضواحيها، مهمتها على أنها الجهاد، وتشجع على السلوك السلفي الصحيح وتتحدث صراحة عن الطبيعة المذهبية للصراع.[111] تبنت المجموعة العلم الإسلامي الأبيض، وترفعه إلى جانب العلم الثلاثي الألوان.[112] كما أنها تتصدى لمسألة العلاقات مع فصائل المعارضة السلفية؛ وتلاحظ البيئة الفاسدة التي عمل بها العديد من المقاتلين قبل الثورة (سواء في الجيش أو في عصابات الأحياء)، وتصف المواد المختلفة الموجودة على الموقع المقاتلين الذين لا يمارسون الشعائر الدينية بأنهم أخوة "مرضى" ينبغي معالجتهم من أمراضهم الروحية بدلاً من معاقبتهم أو مواجهتهم.[113]

بصرف النظر عن هذه المقولات الدينية، وكما في حالة لواء الإسلام، فإن كتيبة الأنصار تحتفظ بعلاقات تعاون مع نظرائها البارزين في الجيش السوري الحر، خصوصاً كتيبة الفاروق (التي نناقشها أدناه).[114] في مطلع نيسان/أبريل 2012، أوردت أن علاقتها مع أحد فصائل الجيش السوري الحر بأنها السبب الرئيسي لقبولها بوقف إطلاق النار الذي طالب به مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي عنان ـ رغم أنها لم تنفذه، مستحضرة انتهاكات النظام لتبرير استمرارها بالعمليات العسكرية.[115]

3. تأثير المقاتلين الأجانب

منذ الأيام الأولى للانتفاضة أضحت مسألة المقاتلين الأجانب في صفوف المعارضة قضية ذات مضامين سياسية. سعى النظام لتضخيم ـ وفي بعض الأحيان فبركة ـ الأدلة على وجود نشاط جهادي أجنبي لتعزيز حجته بأن "إرهابيين" غير سوريين يشكلون جزءاً من مؤامرة عالمية لزعزعة استقرار البلاد. وتزعم وسائل الإعلام الرسمية بشكل

تحث إحدى الفتاوى على الإعدام الفوري للمقاتلين العلويين الذين يتم أسرهم بسبب "كفرهم وحربهم ضد المسلمين"؛ بينما ينبغي محاكمة السجناء السنة وإعدامهم فقط إذا تبين أنهم ارتكبوا جرائم قتل.

[109] انظر الفتوى الواردة رداً على السؤال رقم 12، 12 حزيران/يونيو، www.facebook.com/photo.php?fbid=445388468812938&set=a. 439647206053731.105914.438818622803256&type=1.

[110] بإعلان المسؤولية عن تفجيرات 17 آذار/مارس في دمشق، حذرت جبهة النصرة النظام قائلة: "أوقف مذابحك ضد السنة، لأنك إذا لم تفعل ستتحمل آثام النصيرية [العلويين]، والقادم أسوأ وأشد مرارة بإذن الله"، البيان رقم 2.

[111] نشطاء المجلس الثوري في حمص يصفون مقاتلي كتيبة الأنصار على أنهم "أشخاص جيدون جداً" ويشككون فيما إذا كانوا فعلاً سلفيين؛ أحدهم أشار إلى أنه ـ ورغم أن القيادةالسلفية للمجموعة ـ فإن العديد من أعضائها ليس لديهم أي أيديولوجيا محددة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، حمص، تموز/يوليو 2012. رداً على مذبحة 25 أيار/مايو في الحولة المجاورة، انتقد مقطع فيديو لكتيبة الأنصار الأخوة المسلمين على إخفاقهم في دعم "الطائفة السنية في سورية" بالوقت، والمال والسلاح، "بيان بخصوص مجزرة الحولة ـ كتيبة الأنصار"، 25 أيار/مايو 2012، www.youtube.com/watch?v=PIzQanRJXUQ.

[112] www.facebook.com/katibat.al.ansar/posts/306224986135184؛ هذه المادة لم تعد موجودة على الموقع نظراً لإزالة الصفحة الرسمية لكتيبة الأنصار من فيسبوك؛ أما صفحتها الرسمية الراهنة فهي www.facebook.com/k.alansar. تتبنى كتيبة الأنصار علماً أبيضاً يحمل الشهادة. في حين أن الأعلام السوداء التي تحمل الشهادة أكثر شيوعاً بين المجموعات الإسلامية، فإن الطالبان في أفغانستان تستعمل علماً أبيض شبيهاً بعلم الأنصار.

[113] إحدى المواد تخاطب مقاتلي كتيبة الأنصار بوصفهم أطباء مسؤولين عن معالجة إخوانهم المقاتلين من خلال السلوك المثالي والنية الحسنة، وتطلب منهم: "هل رأيتم طبيباً يكره مريضه لشدة مرضه، أو يتخلى عنه ويرميه على قارعة الطريق؟ هؤلاء 'المرضى' يتطلبون الصبر من أجل معالجة فساد تربيتهم، تماماً كما يتطلب المريض الصبر في معالجة فساد صحته". انظر المادتين المنشورتين في 16 و 17 حزيران/يونيو على صفحة كتيبة الأنصار على فيسبوك.

[114] تشير كتيبة الأنصار بشكل منتظم إلى كتيبة الفاروق في موادها المنشورة على فيسبوك، وتطلب الدعاء لمقاتليها وتشيد بـ "شهادة" أحد قادتها. انظر المادة المنشورة في 25 حزيران/يونيو على الصفحة الرسمية لكتيبة الأنصار على فيسبوك.

[115] دخل وقف إطلاق النار رسمياً حيز التنفيذ في 12 نيسان/أبريل 2012. وكان جزءاً من خطة أنان ذات النقاط الست لحل الأزمة والتي دعت أيضاً النظام لسحب قواته من المراكز السكنية، وتسريع إطلاق سراح السجناء السياسيين، والسماح للصحفيين بالتحرك بحرية والسماح بالمظاهرات السلمية. في حين أن الحكومة والفصائل الرئيسية في الجيش السوري الحر (بما في ذلك كتيبة الفاروق) وافقت على ذلك، فإن أثر وقف إطلاق النار كان لا يذكر، حيث أن النظام أخفق في تنفيذ المتطلبات الرئيسية، واستأنف الطرفان القتال. في إعلان كتيبة الأنصار عن قبولها المشروط بوقف إطلاق النار، عبّرت عن تحفظات، ملاحظة أن الهدنة ستكون لصالح النظام. رغم ذلك فإنها على ما تذكر وافقت على وقف النار، مشيرة إلى أهمية التعاون في الحرب والسلم مع "الأخوة" في كتيبة الفاروق، التي كانت قد أثبتت جسارتها وقوتها، حتى لو لم تفعل الفصائل الأخرى ذلك؛ كما ذكرت المجموعة الحاجة لإظهار الرغبة بإيجاد حل معقول وإعطاء النظام فرصة أخيرة للتخلي عن السلطة بشكل سلمي. لكنها أوضحت أن التزامها يعتمد على وقف النظام لجميع عملياته العسكرية، والتوقف عن إطلاق النار على المتظاهرين والسماح لعائلات حمص المهجرة بالعودة إلى منازلها. وبما أنه لم يتم تنفيذ أي من هذه الشروط، فإنها استأنفت عملياتها. انظر البيان رقم 1، "بيان من كتيبة الأنصار بخصوص الهدنة التي تم إعلانها بتاريخ 2012/4/12"، 12 نيسان/أبريل؛ وأيضاً الفيديو الذي يصور الهجمات التي أتت رداً على انتهاكات النظام، "راجمات الأنصار رداً على خرق الهدنة"، 22 نيسان/أبريل، www.youtube.com/watch?v=2C7s96c2_sU. بعد شهرين، وقّعت مع كتيبة الفاروق، واتحاد ثوار حمص (نناقشه أدناه) وفصائل محلية أخرى، بياناً صحافياً يعلن الرغبة في التوصل إلى وقف إطلاق نار مؤقت لإجلاء المدنيين؛ كما أنها انتقدت مراقبي الأمم المتحدة لما ذكرت عن صمتهم وسط مذابح النظام، "بيان صحفي من الفصائل الثورية في مدينة حمص"، 21 حزيران/يونيو 2012، www.facebook.com/katibat.al.ansar/posts/311984048892611 وعرّف الموقعون بشكل جماعي عن أنفسهم بأنهم "فصائل الثوار في مدينة حمص".

روتيني بأن جثث المقاتلين والمدنيين التي تنتشر في الشوارع في أعقاب العمليات العسكرية هي جثث مقاتلين أجانب. على النقيض من ذلك، فإن التيارات الرئيسية في المعارضة، وحتى وقت قريب، كانت ترفض بشكل مباشر أي تلميح إلى ذلك؛ لكن في مواجهة أدلة لا يمكن دحضها ، فإنها، أي المعارضة، لجأت إلى التقليل من شأن هذه الظاهرة.

على الرغم من عدم وجود أدلة ملموسة على أن المقاتلين الأجانب يمارسون نفوذاً عملياً أو سياسياً أو أيديولوجياً هاماً فإن وجودهم أكدته تقارير الصحافيين العاملين سواء في البلاد أو في أنحاء أخرى من المنطقة وكذلك من خلال المواد التي تنشرها المجموعات الجهادية المقاتلة على وسائل الإعلام الاجتماعية. قد يكون الأثر الملموس الأقوى هو ذاك الذي تجلى في المسائل العملياتية التكتيكية. كما لاحظنا أعلاه، فإن العبوات الناسفة محلية الصنع والسيارات المفخخة بعبوات ناسفة، التي يشار إليها عادة بتفجيرات السيارات المفخخة) بدأتها في عام 2012 جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، التي يُرجع أعضاءها مهاراتهم في صناعة العبوات المتفجرة إلى المقاتلين من ذوي الخبرة في الجماعات المسلحة الأفغانية والعراقية.[116] كما أقر القادة المحليون في الفصائل المرتبطة بالجيش السوري الحر بدورهم باكتساب الخبرات في التعامل مع المتفجرات من هاتين المجموعتين؛ ومنذ حزيران/يونيو 2012، ومقاتلي الجيش السوري الحر يستعملون العبوات الناسفة محلية الصنع وبشكل أقل العبوات الناسفة المحملة على السيارات.[117]

لقد كان للمقاتلين الأجانب حضور مباشر في القتال إلى جانب المجموعات المسلحة المقاتلة السورية. معظم الفصائل تنكر ذلك، رغم أن عدداً من الصحفيين الموجودين في الشمال يذكرون مشاهدتهم لأجانب يعملون في مجموعات يقودها سوريون، ومن وقت لآخر، يؤكد بعض الثوار أن أجانب يعملون في كتائبهم.[118] طبقاً لجميع الروايات، فإن غير السوريين يشكلون جزءاً صغيراً من المقاتلين، وتشير الأدلة المتوافرة إلى أن معظمهم يعملون في الفصائل السلفية ومجموعة مستقلة بارزة يقودها مهدي الهراتي، وهو ليبي كان قائداً رئيسياً في الثورة ضد القذافي.[119] إلا أن السرية تحيط بأنشطة المقاتلين الأجانب وتجعل من الصعوبة بمكان تقييم عددهم ومواقعهم والتداعيات التي قد تترتب على وجودهم.

رغم ذلك فإن عدة حوادث ساعدت في تسليط بعض الضوء على هذه الظاهرة، في حين تبرز المآزق التي تشكلها للمعارضة المسلحة في حساب المنافع التكتيكية لدعم الجهاديين الأجانب مقابل الكلفة الاستراتيجية لذلك من حيث العلاقات مع الغرب والصورة الإجمالية للجماعات المسلحة. في 19 تموز/يوليو 2012، على سبيل المثال، ظهرت مجموعة لم تكن معروفة في الماضي من الجهاديين الأجانب تسمي نفسها مجلس الشورى، وتقاتل إلى جانب مقاتلي الجيش السوري الحر في العملية الشهيرة التي أدت إلى السيطرة على معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا. رغم أن ظهور الجهاديين في فيديوهات على يوتيوب وعلى وسائل الإعلام الغربية وضع المتحدث باسم الجيش السوري الحر المقيم في تركيا في موقع دفاعي،[120] فإن من الواضح أن المقاتلين المشاركين في المعارك كانوا يقدّرون هذا الدعم، وامتدحوا "إخوانهم المجاهدين" في فيديوهات صورت خلال الاحتفال الذي تبع ذلك.[121]

إلاّ أنه وفي ذات اليوم، اعتقل جهاديون أجانب صحفيين غربيين في مكان آخر على الحدود، واحتفظوا بهما لمدة أسبوعين إلى أن

---

[116] انظر Ghaith Abdul-Ahad op. cit.; also Rania Abouzeid "Meet the Islamist militants" op. cit. كتائب أحرار الشام لم تعترف علناً بوجود غير السوريين، إلا أن أعضاء كتائب ثوار أخرى في حلب قالت إن معظم المقاتلين الأجانب في حلب وإدلب كانوا جزءاً منها. Erika Solomon "Syria rebels see future fight with foreign radicals" Reuters 8 August 2012.

[117] فريق من البي بي سي التحق بفصيل تابع للجيش السوري الحر في محافظة إدلب وشهد قيام المقاتلين بالتحضير لهجوم بعبوات ناسفة محلية الصنع. "IED bombs new Syrian rebel strategy" BBC,25 June 2012. مع اندلاع القتال بالقرب من وسط دمشق في 17 تموز/يوليو، أعلنت كتائب الصحابة المرتبطة بالجيش السوري الحر عن مسؤوليتها عن هجوم بسيارة مفخخة ضد عربات مصفحةومقاتلين تابعين للنظام. www.facebook.com/photo.php?fbid=440813499297423&set=a.412784962100277.92570.412633368782103&type=1.

[118] ذكر فريق تابع لسي إن إن أنه التقى مواطناً تركياً يقاتل في لواء صقور الشام في محافظة إدلب؛ وقال سكان محليون إن المجموعة تضم عدداً من المقاتلين من شمال أفريقيا. أنكر قائد اللواء وجود أي مقاتلين أجانب بين رجاله البالغ عددهم 600. Ivan Watson and Reja Rezak "Faces of the Free Syrian Army" CNN 27 July 2012.

[119] Erika Solomon "Syria rebels" op. cit. مهدي الهراتي مواطن أيرلندي من أصل ليبي، كان يقود كتيبة طرابلس خلال الثورة الليبية. في حزيران/يونيو 2012، أعلن هو ومقاتلين ليبيين آخرين تشكيل لواء الأمة، وهي مظلة مستقلة للثوار في سورية تتكون حالياً من عدة كتائب ترتبط بها. وزعم أن مجموعته تضم أكثر من 6,000 مقاتل، 90% منهم سوريين على ما يذكر. إلا أن مراجعة للفيديوهات التي تنتجها تشير إلى أن الرقم الأول مبالغ به على الأقل. انظر Mary Fitzgerald "The Syrian Rebels Libyan Weapon" *Foreign Policy*(online) 9 August 2012. رغم أن لواء الأمة يستحضر الجهاد ويدعو لشكل من أشكال الحكم الإسلامي، فإنه يرفض الرموز الصوفية الواضحة؛ وتشير معظم المواد التي ينشرها على الإنترنت وظهوره على وسائل الإعلام إلى توجهات إسلامية براغماتية. رغم ذلك، فإنه يقر بتلقي التمويل من حجاج العجمي، وهو رجل دين سلفي كويتي يجمع التبرعات علناً لجبهة ثوار سورية، التي نناقشها أدناه، www.facebook.com/Lewa.Alamah/posts/237701949666097.

[120] العقيد مالك الكردي، المتحدث البارز بلسان الجيش السوري الحر والمقيم في تركيا، أنكر أن الأجانب الذين تمت رؤيتهم في باب الهوى كانوا أعضاء في القاعدة. بشكل عام، أنكر وجود أي مقاتل أجنبي في صفوف الجيش السوري الحر، مدعياً بأن الأشخاص غير السوريين في وحدات الثوار كانوا أطباء. وأقر بأن مجموعات الجيش السوري الحر تضم بعض "الراديكاليين"، إلا أنه عزا ذلك إلى استراتيجية استيعاب جميع شرائح المجتمع، العلمانية والإسلامية.

[121] تم الاستيلاء على المعبر الحدودي من قبل مقاتلين من لواء درع الثورة، الذي يستعمل علم الجيش السوري الحر، إضافة إلى مقاتلين أجانب يشير إليهم زملاؤهم السوريون بـ "إخواننا من مجلس شورى المجاهدين". انظرwww.youtube.com/watch?v=uURCYxV37D4. في فيديو آخر صُوِّر بعيد الاستيلاء، ظهر مقاتل يلوّح بعلم جهادي تتبناه القاعدة في العراق، في حين قال آخر، غير سوري فيما يبدو، "نعلن من هنا تأسيس دولة إسلامية بإذن الله". www.youtube.com/watch?v=LooqC8cVXrY.

حررهما مقاتلو الجيش الحر. تصاعدت حدة التوتر بين فصائل الثوار الرئيسية والجهاديين الأجانب العاملين في المنطقة في الأسبوع التالي، وفي 4 أيلول/سبتمبر، ذُكر أن مقاتلين من كتيبة فاروق الشمال، وهي مجموعة تابعة لكتائب الفاروق، اختطفت وأعدمت رئيس مجلس الشورى.[122]

انعكست حقيقة أنه كان لوجود المقاتلين الأجانب كلفة حقيقية في تحوّل أحد قادتهم وأنصارهم، كما عبّر عن ذلك في مقابلة مع مجموعة الأزمات. غادر هذا الرجل سورية بعد ما وصفه بأنه عشرة أشهر من القتال، وعبّر عن شكوكه حول دور هؤلاء المقاتلين:

> لقد تسبب المقاتلون العرب بالكثير من المشاكل على الأرض. إنهم لا يعرفون شيئاً عن المجتمع السوري. معظمهم لا يعرفون خريطة البلاد، ولا مدنها الرئيسية، ولا جيرانها، ناهيك عن المشهد الطائفي والعرقي. في كثير من الأحيان، لا يمتلكون أي خبرة عسكرية. وقد تسبب جهلهم بردّة فعل في المجتمع السوري. حتى لو تمكن المتطوعون الأجانب من المساعدة في الإطاحة بالنظام، فإنهم سيجعلون الأمور أكثر صعوبة في اليوم الذي يلي سقوط النظام. لقد فاقم اعتمادهم على عدة داعمين مختلفين ومتنافسين من حدة انعدام التنسيق بين المجموعات السورية المسلحة. كما أن وجودهم يخدم النظام الذي يستعملهم كتبرير للدمار الهائل الذي يسببه.

> يعد المقاتلون العرب بضع مئات فقط، معظمهم تونسيون، وليبيون، وسعوديون، يتم تجنيدهم غالباً على الإنترنت. في البداية كان هناك تعبئة إقليمية هائلة فيما يتعلق بسورية، لكن ذلك هدأ الآن. أنا أدعوهم لمغادرة البلاد نهائياً.[123]

4. السلفية داخل الجيش السوري الحر

ليست السلفية حكراً على المجموعات التي تعلن سلفيتها. إضافة إلى التسميات الإسلامية، واستعمال الخطاب الإسلامي، فإن عدداً من الكيانات التابعة للجيش السوري الحر تشير بإيجابية إلى عدنان العرعور ورجال الدين السلفيين الآخرين.[124] بعبارة أخرى، فإن التمييز الأكثر أهمية ليس ما إذا كانت مجموعة معينة تعتنق الفكر السلفي بدرجة ما، بل ما إذا كان هذا الفكر هو المكوّن الذي يحدد منظورها إلى العالم، وهويتها والسبب الذي يدعوها إلى القتال.

معظم فصائل الجيش السوري الحر لا تطلق برامج سياسية ولا تتصدى للقضايا الأيديولوجية الأوسع، لكنها على وجه الإجمال تصوّر الثورة على أنها صراع وطني ضد دكتاتورية قمعية وليس كجهاد سني ضد نظام علوي. لا شك أن المقاتلين السنة الملتزمين دينياً – خصوصاً أولئك القادمين من الأرياف والضواحي التي تقطنها الطبقة العاملة – هم العنصر الطاغي على صفوف الجيش السوري الحر، لكنهم يتوجهون إلى الإسلام من أجل الإلهام الشخصي والروحي وليس كنموذج عملي لدولة ما بعد الأسد.[125] الأهم من ذلك، وفي حين لا يمكن إنكار التدين السني الذي يعتنقه مقاتلو وفصائل الجيش السوري الحر،فإن قرارهم بالقتال تحت رايته يعني أنهم يخدمون في قوة أعلن أبرز قادتها، العقيد رياض الأسعد والعميد مصطفى الشيخ، أنهم يعتنقون مبادئ الديمقراطية غير المذهبية.

على سبيل المثال، عندما أطلق عبد الرزاق طلاس، الوجه المعروف لكتيبة الفاروق التابعة للجيش السوري الحر في حمص، لحيته بالطول والأسلوب السلفي، فإنه لم ينحرف عن خطابه غير المذهبي والداعي إلى "سورية تقدمية وديمقراطية"؛[126] وبشكل مماثل فإن كتائب

---

[122] Toby Sterling "Western photographers Jeroen Oerlemans John Cantlie kidnapped in Syria by Islamic militants" Associated Press,27 July 2012.أحمد المصري وكمال صقر، "الجيش الحر يغتال 'رئيس شورى الدولة الإسلامية' في معبر باب الهوى"، *القدس العربي*، 4 أيلول/سبتمبر 2012. في مقابلات أجريت لاحقاً مع صحفي بريطاني زار المنطقة، عزا مقاتلو كتيبة فاروق الشمال قرارهم بقتل رئيس مجلس الشورى (المعروف بأبو محمد الشامي العبسي) بسبب تطرفه الأيديولوجي ومحاولاته فرض سلطة المجموعة ضد رغبات الفصائل المحلية الأخرى. Sarah Birke "Thekilling of a jihadist leader" *The Economist* (online) 12 September 2012.

[123] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيلول/سبتمبر 2012.

[124] صفحة كتيبة درع الشمال، وهي الكتيبة النشطة في محافظة إدلب والعضو الرئيسي في المجلس العسكري في المنطقة (انظر أدناه) "تحب" عدنان العرعور، ونبيل العوضي (السلفي الكويتي الذي نناقشه أدناه) ومحمد العريفي (السلفي السعودي الذي نناقشه أدناه)، www.facebook.com/freearmyder3 alshamal. وتستند أسماء الكتائب التابعة للجيش السوري الحر عادة إلى مفاهيم أو شخصيات من التاريخ والثقافة الإسلاميين؛ ومعظمها يختار أسماء ذات صبغة دينية. إلاّ أنه من الصعب التمييز بين الأسماء السلفية الصرفة وتلك ذات الصبغة الإسلامية العامة.

[125] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات في جنوب، ووسط وشمال سورية، تموز/يوليو 2012.

[126] لقد اجتذبت إحدى أبرز فصائل المعارضة المسلحة، كتيبة الفاروق، (التي أصبحت رسمياً الآن كتائب الفاروق) اهتمام وسائل الإعلام. وقد نالت المديح في أعقاب المهمة الجريئة والخطيرة لإجلائها صحفيين غربيين علقوا في باب عمرو في شباط/فبراير 2012. بالمقابل، وفي أعقاب إنقاذ الصحفيين الفرنسيين، إيديث بوفيير ووليام دانييلز، أشادت بالصحفيين الغربيين الذين كانوا يعملون في بابا عمرو، وشكرت الحكومة الفرنسية على دعمها، ودعت أفراد القاعدة إلى عدم التدخل في سورية وشجعت الثوار على التمسك بقواعد الحرب المتعارف عليها دولياً ومبادئ حقوق الإنسان. انظر بيانها في 1 آذار/مارس. بعد ثلاثة أسابيع، اتهمها تقرير لوسيلة إعلامية على علاقة بالفاتيكان بإجبار المسيحيين على مغادرة أحياء حمص. أنكرت المجموعة بقوة هذه الاتهامات، مضيفة أن معظم "إخوانها" المسيحيين في المنطقة كانوا معارضين للنظام، وكثيرون يدعمون كتيبة الفاروق بالمساعدات الإنسانية ويخدمون في صفوفها. وقالت إنه في حادثة محددة أُجبر مسيحيون من القصير (قرب حمص) على مغادرة منازلهم، كان هناك عائلة محددة كانت تنشط في تسهيل عمل الشبيحة هناك. انظر البيان الذي أصدرته في 22 آذار/مارس 2012؛ انظر أيضاً "Abuse of the opposition forces 'ethnic cleansing' of Christians in Homs where Jesuits remains" Agenzia Fides 21 March. منظمة مسيحية داعمة للثورة رفضت المزاعم التي أوردتها الوكالة تحت عنوان "'التطهير العرقي للمسيحيين في سورية' – حقائق ودعاية"، مسيحيون من أجل الديمقراطية، 22 آذار/مارس 2012. انظر مقابلة طلاس مع مالك داغستاني في صحيفة *الحياة*، "عبد الرزاق طلاس للحياة، طموحي أن أكون عسكرياً في جيش سورية الديمقراطية"، *الحياة*، 1 حزيران/يونيو 2012.

الفاروق نأت بنفسها علناً عن العناصر الأكثر تطرفاً في المعارضة وذلك بالاعتراف بالاتفاقيات الدولية (التي يرفضها الجهاديون السلفيون) وحذّرت القاعدة من التدخل في الثورة. سواء كانت هذه المواقف تعكس رؤيتها الحقيقية أو كانت محاولة براغماتية لاكتساب الدعم الغربي، فإن مثل هذا الخطاب شائع بين قادة الجيش السوري الحر في حين أنه نادر بين الفصائل السلفية المستقلة.

في نفس الوقت، وكما لاحظنا أعلاه، فإن الاختلافات بين الجيش الحر والجماعات السلفية المستقلة (بما فيها جبهة النصرة الأكثر تشدداً) لم تعق التعاون فيما بينها. يمكن رؤية أثر هذا التعاون في استعمال فصائل الجيش الحر لتكتيكات التفجيرات الأكثر عدوانية منذ تموز/يوليو الماضي.[127] يذكر صحفيون غربيون يعملون في محافظتي إدلب ودير الزور أن جبهة النصرة تشرك على نحو متزايد كتائب الجيش الحر في قدراتها في صنع القنابل.[128] في الوقت الراهن على الأقل، فإن مجموعات الثوار الرئيسية المتلهفة للحصول على أسلحة وتكتيكات فعالة تجد على الأرجح أن مزايا مثل هذا التعاون تفوق المخاوف السياسية والأيديولوجية طويلة الأمد – خصوصاً وأن احتمالات التدخل العسكري الغربي تبدو بعيدة.

ب. توحيد المعارضة؟

يمكن تفسير صعود المجموعات الأصولية السلفية بوصفه المنتج الثانوي الطبيعي والمتوقع لتصاعد العنف مصحوباً بتلاشي الآمال بالتوصل إلى حل سريع. رغم ذلك، وبالنسبة للمعارضة السورية، فإن هذه القضية إشكالية؛ حيث أنها تضفي شرعية على فرضية النظام وبالتالي تساعد على تبرير أعماله القمعية؛ وتقلق الداعمين الأجانب الفعليين والمحتملين؛ وفي حين أنها تكسب بعض السوريين، والمتطوعين الجهاديين والرعاة الإسلاميين الخارجيين لقضيتها، فإنها في نفس الوقت تلحق الضرر بالرسالة الأوسع للمعارضة وتعزز قدرة النظام على حشد قاعدته الشعبية وحلفائه.

نتيجة لذلك، أطلقت المعارضة عدة حملات في السنة الثانية من الثورة في محاولة لتوحيد صفوف الثوار، وتعزيز فعاليتها بشكل عام، واحتواء أو على الأقل توجيه الرؤى الأكثر تطرفاً وتأسيس العمود الفقري لمؤسسات ما بعد الأسد. يعرض هذا الجزء من التقرير عدداً من هذه المحاولات على المستويين الوطني والمحلي. في حين أن بعضها كان له هدف محدد هو تقليص نفوذ المتطرفين، في حين أن المحاولات الأخرى أطلقها إسلاميون يسعون إلى تنظيم المشهد غير المنظم للثوار. الحصيلة مختلطة، كما يتضح من المشهد الراهن للمعارضة.

تمتلك معظم تشكيلات الثوار الموجودة حالياً من الموارد ما يكفي لاستمرارها لكنها ليست قوية بما يكفي سواء لاستيعاب مجموعات في مثل حجمها أو رفض التحالف معها. في نفس الوقت، فإن الفصائل الإسلامية الأكثر تطرفاً قوية بما يكفي للاستمرار، لكنها تشعر بشكل متزايد بالحاجة إلى التواصل مع المقاتلين في الفصائل الرئيسية بدلاً من تنفيرهم. وأخيراً، ولأن الجهود التي يبذلها الداعمون الأجانب تبقى متفرقة ومشتتة، فإنها تحافظ على التحالفات المحلية المتنافسة بدلاً من تعزيز اندماجها في هيكلية موحدة ومتماسكة للمعارضة. مقاتل أجنبي سابق في سورية خرج من تجربته مقتنعاً بأن الاحتمال الأخير ضروري للنجاح: "لقد أصبحت مقتنعاً أن الطريقة الوحيدة لهزيمة النظام تتم من خلال توحيد المجموعات المسلحة المحلية وإدماج المكونات الأخرى في المجتمع. لكن حتى الآن فإن الدول والشبكات الإسلامية التي تدعم المعارضة تعمل في معظمها ضد تحقيق هذا الهدف، حيث تمول كل منها الجماعة التي تفضلها".[129]

رغم ذلك، وعندما يتعلق الأمر بمحاربة النظام، فإن مجموعات المعارضة من جميع المشارب نجحت نسبياً في وضع خلافاتها جانباً. رغم ظهور تقارير تتحدث عن صدامات بين الجيش السوري الحر والمقاتلين الجهاديين، فإن مثل هذه الحوادث تبقى حتى الآن معزولة ولا يبدو أنها عطّلت التوجه العام نحو التعاون عبر الفوارق الأيديولوجية. ومن المرجح لهذه النزعة أن تتوسع طالما ظلت قوات الثوار تعتقد بأنها ضرورية - وطالما تجنبت العناصر الأكثر راديكالية فيها (كما في التفجيرات التي تُسقط عدداً كبيراً من الضحايا المدنيين) التي تلحق الضرر بنظرائها غير السلفيين. يعزز مثل هذا التعاون مصداقية مجموعات المقاتلين السلفيين ويكسبها قدراً أكبر من الاحترام في صفوف المعارضة بأسرها حيث تنشر مجموعات النشطاء المحليين مواد دعائية سلفية على الإنترنت، ومن المعروف أن فصائل الجيش السوري الحر القيادية تعمل بالتعاون مع المجموعات السلفية. باختصار، وفي سياق من استمرار تجزؤ المعارضة، فإن القرب الجغرافي والأهداف المشتركة قصيرة الأمد ستبقى أكثر تأثيراً من الانتماء الأيديولوجي في تحديد العلاقات بين الفصائل العسكرية المحلية.

[127] إحدى الكتائب المقاتلة تحت لواء الجيش الحر انضمت إلى كتائب أحرار الشام وفصائل سلفية أخرى في إعلان مسؤوليتها عن تفجير في تموز/يوليو تم فيه تفجير صهريج مليء بالمتفجرات وهو يمر على نقطة تفتيش في محافظة اللاذقية. أكدت كتائب أحرار الشام أن الصهريج كان يقوده أحد أفراد الشبيحة؛ أما كتيبة جبلة أحفاد القسام فلم تذكر كيف تم تفجير الصهريج. انظر المواد التي نشرتها المجموعات على صفحاتها على فيسبوك،
www.facebook.com/K.AhrarAlsham/posts/260338394074718 and
www.facebook.com/ahfadalqasam/posts/263636693736886.

[128] أحد قادة جبهة النصرة في دير الزور قال، بالإشارة إلى القيادة المحلية للجيش الحر، "نلتقي يومياً تقريباً. لدينا تعليمات واضحة من قيادتنا أنه إذا احتاج الجيش الحر مساعدتنا علينا أن نمنحه إياها. نساعدهم بالعبوات المتفجرة والسيارات المفخخة. موهبتنا الرئيسية تكمن في عمليات التفجير". قائد محلي آخر في الجيش الحر أقر بالعمل مع جبهة النصرة لكنه عبّر عن تحفظاته حول تطرفها. انظر غيث عبد الأحد، *الغارديان*، 30 تموز/يوليو 2012. قائد كتيبة صغيرة في محافظة إدلب أقر بالأمر ذاته، مضيفاً، "أنا أحد الأشخاص الذين يخشون التطرف. أخبرت [جبهة النصرة] أننا قد نواجه بعضنا البعض يوماً ما بسبب أنشطتكم. إذا كانوا يريدون أن يحدث هنا ما حدث في العراق، فإن هذا خطأ". Rania Abouzeid "Meet the Islamist militants" op. cit.

[129] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيلول/سبتمبر 2012.

1. المجالس العسكرية

عندما يتحدث قادة الجيش السوري الحر في تركيا لوسائل الإعلام الدولية كما لو أنهم يتحدثون نيابة عن مؤسسة متماسكة، فإن قدرتهم على ضبط المجموعات التي تقاتل تحت لواءهم تظل محدودة في أحسن الأحوال. وبهذا المعنى، فإن تأسيس المجالس العسكرية يشكل المحاولة الأكثر طموحاً حتى الآن لتنظيم عشرات "الألوية " و "الكتائب" التي تعرّف عن نفسها كجزء من الجيش السوري الحر، ما يضعها في إطار معترف به للقيادات المناطقية التي تنسق الاستراتيجيات والرسائل الإعلامية.

تم القيام بجهد أولي في كانون الثاني/يناير 2012 من قبل العميد مصطفى الشيخ بُعيد انشقاقه. وكان هدفه تعزيز التنسيق بين فصائل الجيش السوري الحر والتأسيس لهيكلية القيادة والسيطرة.[130] ولهذه الغاية، أنشأ وترأس المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر كي يكون هيئة إشرافية على المجالس العسكرية المناطقية، التي تكلَّف هي بدورها بتنسيق الاستراتيجيات بين الفصائل المحلية للجيش السوري الحر.[131] وقد صوَّر هذه الهيكلية مراراً ليس فقط كوسيلة لتنسيق العمليات العسكرية بل أيضاً كضمانة ضد محاولات المتطرفين استغلال المشهد الفوضوي للمقاتلين.[132]

لقد أدى تأسيس المجالس العسكرية إلى نشوء شراكة غير متوقعة بين الشيخ ـ الذي يدعو إلى الوحدة بين جميع الطوائف وينتقد محاولات "أسلمة" الثورة ـ وعدنان العرعور، الشيخ السلفي السوري المثير للجدل المقيم في السعودية الذي يصف الثورة في معظم الأحيان كجزء من صراع سني أوسع ضد الاضطهاد الشيعي. بصرف النظر عن الدور المحتمل للسعودية في ترسيخ هذه العلاقة، فإن التعاون بين شخصية عسكرية براغماتية وشخصية دينية متشددة يبدو نتاج وجود هدف مشترك يتمثل في تنظيم صفوف المعارضة تحت قيادة معترف بها وخاضعة للمساءلة وتجنُّب الاقتتال الداخلي. يؤكد العرعور بشكل منتظم على أهمية المجالس في برنامجه التلفزيوني الذي يبث على الهواء مباشرة ويدعو إلى تقديم التبرعات من خلال الهيئات المناطقية.[133] يتعامل برنامجه مع الشيخ وقادة المجالس المحليون على أنهم المتحدثين الحصريين باسم الجيش السوري الحر، ويمنحون الخاتم السلفي بالموافقة على حملة أطلقها ضابط يعتبر على نطاق واسع علمانياً ويشكك في الإسلاميين.[134]

رغم أن المجالس العسكرية برزت بوصفها المتحدث المعترف به باسم الجيش الحر، فإن سجلها على الأرض كان متفاوتاً، حيث لم تحقق سوى نجاح محدود ومحلي في توحيد صفوفها.[135] وفي الحالات التي أثبتت فيها فعاليتها، وضعت هيكليات واضحة، مع وجود سلاسل سيطرة غير مترابطة بقوة وقبلت بتقسيم العمل فيما بينها. في حماة، على سبيل المثال، تضم المجالس المحلية تسع عشرة كتيبة (بما فيها أبرز الكتائب الموجودة في المحافظة)؛ والتزمت كل منها بهيكلية تحكم واضحة المعالم.[136] في 17 أيار/مايو، انتُخب قادة وممثلي المجموعات أعضاء في لجنة تكون مسؤولة عن الشؤون المالية للمجلس، وشراء الأسلحة، والمسائل الأمنية والتواصل مع وسائل الإعلام. وتوصلوا إلى اتفاق حول مسائل أخرى، مثل توزيع المسؤوليات بين قادة وفصائل المجلس؛ وتسليم المجلس المسؤولية العامة عن وضع الاستراتيجيات وتنسيق التكتيكات بين الكتائب؛ وتطبيق الشريعة في التعاملات الداخلية، والتفاعل مع المدنيين ومعاملة الأسرى.[137]

---

[130] هذه المحاولات تسببت في بعض الأحيان في خلافات بينه وبين العقيد رياض الأسعد، الذي انشق قبله بستة أشهر وأصبح القائد الرسمي للجيش السوري الحر. طبقاً لاتفاق وقع في 24 آذار/مارس، يكون الأسعد قائد عمليات الجيش السوري الحر، والشيخ مسؤولاً عن العلاقات الخارجية. انظر "العقيد رياض الأسعد: قائد الجيش السوري الحر، 2012/3/24، www.youtube.com/watch?v=pljxIGwLkYs. "الشيخ يعترف بوجود خلاف بينه وبين الأسعد حول تأطير العمل العسكري لـ "الجيش الحر"، *الشرق الأوسط*، 1 أيار/مايو 2012.

[131] في نيسان/أبريل 2012، أعلن ضباط الجيش السوري الحر في سورية عن إنشاء سبعة من هذه المجالس، يقود كلاً منها عقيد منشق. وقد ظهرت مجالس محلية إضافية منذ ذلك الحين. وقد وجد صحفي يدرس تنظيم الثوار وتمويلهم في أيلول/سبتمبر 2012 أن هناك عشرة على الأقل من هذه المجالس. لكن في أيلول/سبتمبر، بدا التنسيق بين مصطفى الشيخ وقادة المجالس المحلية محدوداً. Rania Abouzeid "Syria's secular and Islamist Rebels: Who are the Saudis and the Qataris arming?" *Time*,18 September 2012.

[132] انظر مقابلة مصطفى الشيخ في 26 نيسان/أبريل 2012 على البرنامج المباشر لعدنان العرعور، "مع سورية حتى النصر"، 90 دقيقة. www.youtube.com/watch?v=Amp_0nBRyKg. شرح أن أسلمة الثورة تخدم مصالح النظام بتصوير الصراع على أنه صراع مذهبي وليس صراعاً شعبياً يضم كل الطوائف، وحذر من أن أي انحراف نحو التطرف في صفوف المعارضة سيكون خطيراً ووصف المجالس العسكرية بأنها وسيلة لمنع ذلك.

[133] العرعور، وفي حلقة 26 نيسان/أبريل من "مع سورية حتى النصر"، مرجع سابق، وصف الوحدة التي توفرها هيكلية المجالس على أنها ضرورة عملية (حيث يوفر الضباط الأعلى رتبة القيادة الاستراتيجية للعمليات) وواجباً دينياً؛ واتفق مع الشيخ بأن هذه الهيكلية ستساعد في منع المتطرفين من استغلال الفوضى؛ واقترح أن توزع المساعدات والتبرعات المقدمة للجيش السوري الحر من خلال المجالس لتجنب التنافس على الموارد.

[134] نقلت صحيفة *الحياة* عن الشيخ في 29 آذار/مارس قوله إن معركته التالية ستكون ضد أسلمة الثورة. استقطبت ملاحظاته نقداً قاسياً من الإسلاميين على الإنترنت ومن المواقع الإخبارية المتعاطفة. انظر "مصطفى الشيخ: بيعنا سكوتك .. وعلى الجيش الحر وضع حد لتدخله في السياسة وإلاّ؟!!.

[135] خلال الأشهر الخمسة الأولى من العمل الرسمي للمجالس، عوملت من قبل وسائل الإعلام الدولية على أنها المتحدث الشرعي وصاحب السلطة في الجيش السوري الحر. عندما تريد وسائل الإعلام العربية أن تحصل على بيانات من الجيش الحر، فإنها تلجأ غالباً إلى الشيخ وكذلك إلى رؤساء وممثلي المجالس العسكرية في المناطق. ويظهر رؤساء المجالس العسكرية والمتحدثون باسمها بشكل منتظم على الجزيرة والعربية سواء للتعليق على الأخبار الجديدة أو المشاركة في البرامج الحوارية.

[136] تم وضع قائمة بأسماء الكتائب التي انضمت إلى المجلس وتم ضمها إلى صفحة على فيسبوكأزيلت لاحقاً. الصفحة الحالية للمجلس هي www.facebook.com/Military.Council.Media. تتمثل إحدى هذه الكتائب في كتيبة أحرار الشام، وهو المثال الأول الذي تعمل فيهإحدى كتائب هذه المجموعة تحت القيادة الاسمية للجيش السوري الحر.

[137] طبقاً للمنتدى، فإن إعدام عملاء النظام ينبغي أن يكون بناء على حكم من اللجنة الشرعية في المجلس. انظر "أوغاريت: تسليم قيادة المجلس

كما نجح المجلس العسكري في درعا (رسمياً) في جمع عدد كبير من المقاتلين المحليين تحت جناحه؛ وكما في نظيره في حماة، فإنه يزعم امتلاك البنية التحتية الضرورية لتنسيق توزيع الأموال والأسلحة على كتائبه.[138]

في المحافظات الأخرى لم تنجح محاولات توحيد الكتائب. ظهر قائد المجلس العسكري في حمص قاسم سعد الدين كنجم إعلامي في أيار/مايو 2012 متحدثاً باسم القيادة الداخلية المشتركة للجيش الحر، وهي هيئة تطمح إلى تنسيق التواصل بين فصائل الثوار.[139] لكن حتى مع ادعائه بأنه يتحدث نيابة عن قادة الجيش السوري الحر في سائر أنحاء البلاد، فإن مجلس سعد الدين أخفق في أن يضم الفصائل العاملة على بعد أميال قليلة من مكتبه، بما في ذلك كتيبة الفاروق.[140] في إدلب، يتكون المجلس العسكري من كتائب بارزة في الجيش السوري الحر لكنه لا يضم المجموعات السلفية المستقلة، رغم أن كتائب أحرار الشام ولواء صقور الشام رسّخا موقعيهما كلاعبين محليين هامين.[141] وعلى نحو مماثل، فإن التحالف المهيمن في حلب، لواء التوحيد، شن حملته للسيطرة على المدينة في تموز/يوليو ضد رغبات المجلس العسكري المحلي ورفض الاعتراف بقيادة المجلس خلال الأسابيع السبعة الأولى من المعارك.[142] واستغرق الأمر حتى 10 أيلول/سبتمبر حتى توصل لواء التوحيد ورئيس المجلس عبد الجبار العقيدي إلى إعلان إنشاء قيادة موحدة، هي المجلس العسكري الثوري في محافظة حلب.[143]

تسببت محاولات رصّ الصفوف أيضاً بتوترات داخل قيادة الجيش السوري الحر. كما أن مصطفى الشيخ أقر بوجود خلافات مع رياض الأسعد، فإن الأسعد وقاسم سعد الدين، رئيس مجلس حمص، تخاصما علناً حول أي من مكتبي الاثنين يتحدث نيابة عن الجيش السوري الحر.[144] كما تبقى عملية التنسيق، سواء بين المجالس أو بينها وبين

العسكري في مدينة حماة وريفها من الرائد علي أيوب إلى العميد الركن أحمد بري، 28 حزيران/يونيو 2012، www.youtube.com/watch?v=S71Fm8kJjqg. لمزيد من النقاش حول المجالس العسكرية المناطقية، انظر Joseph Holliday "Syria's Maturing Insurgency" Institute for the Study of War,June 2012. في أواخر حزيران/يونيو، أعلن مجلس حماة أنه كان قد نقل قيادته من الرائد علي أيوب إلى العميد أحمد بري، احتراماً للترابية العسكرية.

[138] لقد مضى المجلس العسكري في درعا أبعد من المجالس الأخرى في تأسيس سلسلة قيادة واضحة وتوزيع المسؤوليات بين القادة؛ ويزعم أنه غيّر قادته مرتين بعد انشقاق قادة أرفع رتبة. وانتقد علناً رياض الأسعد لعدم تسليمه قيادة الجيش السوري الحر لضباط أعلى رتبة (في إشارة إلى مصطفى الشيخ). كما أنه اتهمه بالولاء المفرط لتركيا ودعاه للتنحي، مضيفاً: "لم تعد تمثلنا؛ المجلس العسكري هو الذي يمثلنا، لأن المجالس [المناطقية] وفّرت الوحدة ومنعت ظهور أمراء الحرب". انظر بيانه على فيسبوك في 2 حزيران/يونيو؛ وأيضاً "إعادة هيكلة المجلس العسكري في محافظة درعا"، 2012/4/24"، www.youtube.com/watch?v=1R3EraO0utc.

[139] رغم أن رياض الأسعد ومصطفى الشيخ وغيرهم من شخصيات الجيش السوري الحر يتحدثون نيابة عنه، فإن بعدهم عن ميدان المعركة يتركهم عرضة لاتهامات بأنهم لا يتمتعون بنفوذ على الأرض. بفضل قاسم سعد الدين، فإن المجلس العسكري للجيش السوري الحر بوسعه أن يفخر بأول متحدث باسمه في سورية؛ حيث أنه ظهر في مقاطع فيديو وهو يقاتل ويتحدث لجمهور عريض يتجاوز منطقة عملياته المباشرة. وصعد نجمه بسرعة كضيف متكرر على الشبكات الفضائية العربية؛ واقتُبست بياناته التي أطلقت في 27 و 30 أيار/مايو والتي يهدد فيهابعدم الالتزام بوقف إطلاق النار الوارد في خطة عنان في أعقاب مجزرة الحولة من قبل العديد من وسائل الإعلام على أنه يعبر عن المواقف الرسمية للجيش السوري الحر. "Pessimism at UN as Syria crisis worsens" Al Jazeera English 31 May 2012; also www.youtube.com/watch?v=tgZ7bIjxDo4 and www.youtube.com/watch?v=xHexQTtwfmM (Saad al-Din addressing UN observers and directing FSA fighters in the midst of a clash with regime forces). إلا أن قدرته الفعلية على قيادة المقاتلين تبدو محدودة بالرستن، قرب حمص. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع ممثل الرستن في المجلس الثوري في حمص، حمص، تموز/يوليو 2012.

[140] يضم مجلس حمص لواء رجال الله وكتيبة خالد بن الوليد، وهما فصيلان بارزان ينشطان بشكل خاص في الرستن. انظر Joseph Holliday "Syria's Maturing Insurgency" op. cit. في تفسيره لقرار الفاروق بعدم الانضمام إلى المجلس، قال عبد الرزاق طلاس: "نحن لا نعترف بأي كيان أو اسم لا يصدر عن قيادة الجيش السوري الحر بقيادة العقيد رياض الأسعد. نحن نغسل أيدينا [من أي كيان كهذا] ونعتبره محاولة لتقسيم صفوف الجيش السوري الحر والإساءة إليه". انظر "بيان هام جداً لكتائب الفاروق"، 27 نيسان/أبريل 2012، www.youtube.com/watch?v=o-RHM9CMri0.

[141] في أواسط حزيران/يونيو، عدّت الأسوشييتدس برس أكثر من عشرين كتيبة عاملة في محافظة إدلب دون تنسيق يذكر فيما بينها. "التنسيق بين الثوار نادراً ما يتجاوز البلدات والقرى المجاورة ولا يرقى أبداً إلى مستوى المحافظة أو المستوى الوطني. العديد من الثوار لا يعرفون القادة في البلدات التي تبعد ساعتين عنهم". "Syria rebels divided" op. cit.

[142] في بيان صدر في 26 تموز/يوليو موجه فيما يبدو للمجلس العسكري في حلب، حذر عبد العزيز السلامة، قائد لواء التوحيد، من أن "ليس لأي مجلس الحق بإعلان المسؤولية عن النشاط العسكري في حلب، لأنه من المعروف من هو الناشط على الأرض"، www.youtube.com/watch?v=KHNRZOsMD3U. وذكر أن لواء التوحيد بدأ العمل في حلب ضد مشورة قيادة المجلس العسكري، الذي انضم إلى الهجوم بعد استيلائه على أحياء المدينة. انظر Richard Spencer "Aleppo is becoming Syria's Stalingrad" *The Telegraph*,11 August 2012.

[143] انظر إعلان تشكيل المجلس، قرأه العقيدي وقائد لواء التوحيد عبد القادر صالح، www.youtube.com/watch?v=Czf08R12Ye0. أما القضية الإشكالية حول من يقود المجلس فعلياً فيبدو أنه تمت معالجتها من خلال "مجلس رئاسي" يضم العقيدي والصالح. وذكر البيان اثني عشر فصيلاً أعضاء في المجلس، أبرزها لواء التوحيد ولواء الفتح، وهو لواء يعتبر موالياً للعقيدي. للمزيد حول خلفية التوترات بين لواء التوحيد والعقيدي، انظر Charles Levinson "Leadership rifts hobble Syrian rebels," *The Wall Street Journal*,10 September 2012.

[144] في الواقع، فإن أيا منهما لا يستطيع الادعاء بذلك. الشيخ أقر بخلافه مع الأسعد حول جهود تنظيم الجيش السوري الحر في مقابلة أجرتها معه في 1 أيار/مايو صحيفة *الشرق الأوسط*، مرجع سابق. أما الخلاف بين الأسعد وقاسم سعد الدين فقد ظهر في 31 أيار/مايو عندما رفض الأسعد إعلان سعد الدين بأن الجيش السوري الحر سينسحب من اتفاقية وقف إطلاق النار خلال 48 ساعة إذا لم يلتزم النظام بخطة عنان. رد سعد الدين بأن الأسعد يمثل نفسه فقط، وأن قادة الجيش السوري الحر في

العميد مصطفى الشيخ المقيم في تركيا، غامضة أيضاً، في حين أن العلاقات مع القيادة السياسية لمعارضة المنفى كانت دائماً متوترة. مع اجتماع أعضاء المعارضة في القاهرة في 2 تموز/يوليو لمعالجة الانقسامات الطويلة الأمد كما قيل، فإن سعد الدين ـ رئيس مجلس حمص ـ وصف المؤتمر بأنه "مؤامرة"، لأن المشاركين رفضوا الدعوة صراحة للتدخل العسكري الأجنبي.[145] جهود أخرى كتلك التي أُطلقت في أواخر أيلول/سبتمبر لتأسيس "قيادة مشتركة للمجالس العسكرية الثورية" التي حضرها عدنان العرعور (انظر أدناه) والتي دعت لتأسيس "دولة مدنية"، والادعاء بأنه يمثل 80% من المجموعات المسلحة التابعة للمعارضة، لم تسفر عن نتائج ملموسة حتى الآن.[146]

باختصار، ورغم أن المجالس العسكرية ساعدت في تحسين التنسيق، لكنها لم تتمكن من بناء بنية تمثل بشكل كامل مصالح المعارضة أو أن الأموال والأسلحة القادمة من الخارج يتم تسليمها بشكل موثوق ودقيق إلى أشخاص معروفين. بالنسبة للمجالس، فإن هذه النقطة الأخيرة بالغة الأهمية: ما لم يتم تمرير الأموال والسلاح القادمين من الخارج من خلالها كي يتم توزيعها لاحقاً، فإنها ستجد صعوبة في السيطرة على قادة الكتائب أو إقناع وحدات الجيش السوري الحر المحلية بالتضحية بجزء من استقلالها.[147]

2. تحالفات مستقلة

إضافة إلى المجالس العسكرية، فإن المجموعات المسلحة شكلت تحالفات أخرى في محاولة لتحقيق تنسيق أفضل لعملياتها.

اتحاد ثوار حمص

شُكِّل اتحاد ثوار حمص في أواسط أيار/مايو 2012، وكان واحدة من أولى المحاولات لتشكيل ائتلاف للكتائب المحلية خارج نطاق الجيش السوري الحر. ويضم الاتحاد رسمياً 19 فصيلاً يعمل في حمص وريفها، إضافة إلى منظمة للنشطاء المدنيين ورجل دين واحد على الأقل.[148] ووقّع الأعضاء على هيكلية واضحة المعالم في الحوكمة، بما في ذلك تأسيس وحدة قضائية لملء الفراغ الأمني الذي أعقب فقدان النظام للسيطرة المحلية.[149] كما تلتزم الفصائل المختلفة فيه ببرنامج سياسي واسع يصف هدفه بأنه "حكومة وطنية منتخبة شعبياً وذات مرجعية إسلامية".[150]

مثل هذه اللغة الإسلامية المعتدلة ـ التي تستعمل عادة من قبل الأخوان المسلمين للإشارة إلى شكل من أشكال الديمقراطية تنسجم مع الشرعية ـ يمكن أن تعتبر القاسم الأيديولوجي المشترك بالنسبة للمجموعة، التي تضم كتائب سلفية مستقلة وكتائب منضوية تحت لواء الجيش السوري الحر. لقد أعلن اتحاد ثوار حمص مسؤوليته عن عمليات مشتركة وأصدر بياناً مع كتيبة الأنصار وكتيبة الفاروق، مشيراً إلى أن الفصائل القيادية في حمص تعمل بشكل مستقل عن المجلس العسكري الذي يقوده قاسم سعد الدين وربما تنسق عملياتها بتجاوز الانقسامات الأيديولوجية.[151]

جبهة ثوار سوريا

في 4 حزيران/يونيو 2012، أعلنت جبهة ثوار سوريا تشكّلها في مؤتمر صحفي في اسطنبول. ووصفت نفسها بأنها تحالف عسكري يهدف إلى توحيد فصائل المعارضة وتأسيس حكومة جديدة توجهها مبادئ الحرية، والعدالة، والتعددية والشريعة الإسلامية.[152] لكن يبدو أنها انهارت خلال ساعات، حيث علّق أكبر مكوناتها العسكرية، كتائب أحرار الشام، عضويته فيها بسبب الخلاف حول طبيعة علاقة

سورية لم يعودوا يتلقون الأوامر من أولئك الموجودين في الخارج. انظر "انقسام قيادة المنشقين في الخارج والمقاتلين على الأرض"، *القدس العربي*، 31 أيار/مايو 2012.

[145] "فصائل 'الجيش الحر' غير راضية عن توجهات المعارضة السياسية في مؤتمر القاهرة". *الشرق الأوسط*، 3 تموز/يوليو 2012.

[146] www.youtube.com/watch?v=1QGe_Qqdut4; www.aljazeera.net/news/pages/aff8bdf5-d74d-4c41-b044-d75fcf47fb27.

[147] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع منشق عسكري رفيع، آب/أغسطس 2012. من الصعب تقدير مدى استعداد الداعمين الخارجيين للمعارضة وقدرتهم على تنسيق جهودهم وإنشاء خطوط تزويد منظمة ومنهجية. مسؤول أمريكي وصف التنسيق بين واشنطن، وباريس، ولندن، وأنقرة، والرياض والدوحة حول السياسة بشأن سوريا بأنه "جيد جداً" لكنه أقر في نفس الوقت بأن التنسيق ليس مثالياً فيما يتعلق بتسليح الثوار، نظراً لوجود مبادرات مشتتة، وعدم وجود خطة منهجية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، أيلول/سبتمبر 2012.

[148] لقائمة بالمجموعات التي يضمها التحالف، انظر www.facebook.com/Union.rebels.Homs/posts/319355741472220. ومنذ ذلك الحين، انضمت كتيبة إضافية ومنظمة تمثل القصير، وهي بلدة بجوار حمص، www.facebook.com/Union.rebels.Homs/posts/417670074943680.

[149] يبدو أن الشخصية الرئيسية في المكتب القضائي هو علي بن نايف الشحود، عضو الجمعية العامة لعلماء المسلمين في سورية، التي تضم رجال دين مؤيدين للثورة. توفر فتاويه التوجيهات اللازمة ذات الصلة بميدان المعركة، بما في ذلك الإجراءات المتخذة لتقليص عدد الضحايا من المدنيين. انظر www.facebook.com/photo.php?fbid=329796327094828&set=a.317855531622241.75455.309119905829137&type=1.

[150] انظر www.facebook.com/Union.rebels.Homs/posts/310892852318509.

[151] انظر المادة التي نشرتها كتيبة الأنصار في 1 حزيران/يونيو على www.facebook.com/katibat.al.ansar/posts/300844100006606; the Revolutionaries' Union's 21 June post at www.facebook.com/Union.rebels.Homs/posts/433152156717043; و "بيان صحفي من الفصائل الثورية في مدينة حمص"، 21 حزيران/يونيو 2012، www.facebook.com/katibat.al.ansar/posts/311984048892611.

[152] انظر "جبهة ثوار سورية تعلن النفير العام لإسقاط الأسد"، العربية، 4 حزيران/يونيو 2012.

الجبهة مع المجلس الوطني السوري.[153] كما ذكرنا، فإن كتائب أحرار الشام عادت عن قرارها في أواسط تموز/يوليو، في أعقاب تبني بيان سياسي جديد يؤكد الالتزام بالمبادئ الإسلامية.[154] في مقابلة لاحقة، شرح المجلس التنفيذي للجبهة أنها ليست سلفية ولا إخوانية (مرتبطة بالإخوان المسلمين)، رغم أنها تضم أعضاء من كلا التيارين الأيديولوجيين. وعلى حد تعبيره، فإن الإسلاميين يهيمنون على مشهد المجموعات المسلحة، وأن هدف الجبهة هو توحيد جميع فصائل الثوار تحت راية الإسلام وباسم الجهاد.[155]

لم تحظَ الجبهة بقدر كبير من الاهتمام على الإنترنت وفي وسائل الإعلام العربية بعد أول موجة من الاهتمام، وهكذا فقد أخفقت باجتذاب فصائل مسلحة بارزة أخرى. بصرف النظر عن كتائب أحرار الشام، فإن مجموعات الثوار المشاركة فيها ثانوية نسبياً ومعزولة جغرافياً عن بعضها البعض.[156] وهكذا فإن الجبهة تلقت حتى الآن تمويلاً من رجل دين كويتي بارز على الأقل، إلاّ أن مستقبلها السياسي قد يعتمد على مدى فائدة التحالف وصلته بأقوى مكوناته، كتائب أحرار الشام.[157]

لواء التوحيد

يمثل لواء التوحيد القوة الدافعة وراء قوة الثوار في حلب، كما يمثل المحاولة الأكثر تقدماً حتى الآن لتوحيد الكتائب المحلية الرئيسية في هيكلية قيادية موحدة.[158] تشكَّل اللواء في 18 تموز/يوليو 2012 في أعقاب سلسلة من الاجتماعات عقدت بين قادة الثوار المحليين من ريف حلب، والبلدات والمناطق الريفية التي تحيط بالعاصمة الاقتصادية لسورية.[159]

على النقيض من تحالفات المسلحين السابق ذكرها، فإن لواء التوحيد قدَّم نفسه منذ البداية على أنه وحدة عسكرية واحدة متماسكة تعمل تحت قيادة موحدة وليس كتحالف لكتائب منفردة.[160] وفي هذا الصدد، فإنه استفاد من البنية التحتية التي أسسها مجلس ثوار حلب وريفها وجناحه العسكري الرسمي، لواء أحرار الشمال، وهو قوة ثورية بارزة يشكل مقاتلوه حالياً العمود الفقري للواء التوحيد. رئيس المجلس الثوري، عبد العزيز السلامة، ومقره تل رفعت، حوالي 25 كم شمال حلب، أشرف على الشؤون العسكرية والمدنية في معظم ريف حلب الشمالي منذ كانون الثاني/يناير 2012 وهو القائد الرسمي الحالي للواء التوحيد.[161]

في 19 تموز/يوليو، بدأ مقاتلو المجموعة بالتحرك من الريف إلى مركز مدينة حلب.[162] إلى حد ما، فإن أداء لواء التوحيد منذ ذلك الحين يعكس أداء الجماعات المسلحة بشكل عام، ويشير إلى أن قدرتها على التنسيق تتحسن لكنها تبقى محدودة.[163] ويعترف بالحاجة

---

[153] انظر بيان أحرار الشام في 5 حزيران/يونيو، www.facebook.com/photo.php?fbid=378499295532239&set=a.319190974796405.71118.256326.

[154] يدعو الميثاق الجديد إلى "الحكم الإسلامي الرشيد"، ويضع الشريعة بين المبادئ العامة ويقصر العضوية على أولئك الذين أظهروا "التزاماً دينياً"، www.facebook.com/photo.php?fbid=203286686465244&set=a.197942143666365.39841.197411547052758&type=1.

[155] انظر المقابلة مع رامي الدالاتي، رئيس المجلس التنفيذي لجبهة ثوار سوريا، www.youtube.com/watch?v=9R-x2pjL5gg.

[156] إضافة إلى كتائب أحرار الشام، فإن جبهة ثوار سوريا تضم حالياً كتيبة حمزة في جبل الأكراد (النشطة في ريف اللاذقية على طول الساحل)، وكتيبة ثوار الشعيطات (النشطة في ريف دير الزور)، وكتيبة أحفاد الأمويين (النشطة في دمشق وريفها) وكتيبة ثوار بابا عمر (النشطة في حمص). ما يوضح الفوضى في أوساط المجموعات المسلحة أن الكتيبة الأخيرة عضو أيضاً في اتحاد ثوار حمص. انظر www.srfront.org and www.facebook.com/srfront.

[157] لقد تمتعت جبهة ثوار سورية بدعم هام من حجاج بن فهد العجمي، رجل الدين الكويتي الذي استعمل موقعه على تويتر لجمع التبرعات لها. انظر https://twitter.com/hajjajalAjami. كما أنه ظهر في فيديو على يوتيوب يقدم التبرعات للجبهة في ذكرى تأسيسها، إلا أن الفيديو أزيل عن موقع يوتيوب.

[158] يمكن لمصطلح التوحيد أن يشير إلى الوحدة، كما في تجمع الفصائل المختلفة، أو إلى وحدانية الله. وهذا الأخير مفهوم مركزي في الإسلام وكثيراً ما يستحضره السلفيون للتمييز بين ما يرون أنه التوحيد الصحيح لدى المسلمين السنة والشرك الذي زحف إلى فقه وطقوس الشيعة وغيرها من الطوائف غير السنية. يمكن القول بأن اسم لواء التوحيد يرضي جميع المكونات: فهو يحتوي على الرمزية العزيزة على قلوب السلفيين، ويسمح للآخرين بتفسيره على أنه إشارة مباشرة إلى التوحيد الحرفي للفصائل المجتمعة لتشكيله.

[159] الفصيل الأكبر في التحالف، لواء أحرار الشمال، أطلق فيديو عن الاجتماع مستبقاً الإطلاق الرسمي للواء التوحيد، www.facebook.com/ahraralshamali/posts/451691341521241. وتتضمن المكونات الأخرى للتحالف كتائب الشهداء، ولواء دارة عزة وكتيبة قبضة الشمال، انظر www.youtube.com/watch?v=la6U5jBtHjw.

[160] يزعم قادة وأفراد لواء التوحيد على حد سواء بأنهم يعملون كمجموعة، على عكس الفصائل المنفردة التي كانوا ينتمون إليها قبل تشكيل اللواء.

[161] انظر Anthony Lloyd "Bird song rotors then the roar of rocket fire at Syria hospital" *The Australian*,16 June 2012. "Syria: Some in opposition fear rebels miscalculated in Aleppo" *Los Angeles Times*,13 August 2012.

[162] ذُكر أن عبد العزيز السلامة، قائد لواء التوحيد، ومدير عملياته عبد القادر الصالح اتخذا قراراً نهائياً بشن الهجوم للاستيلاء على حلب في 18 تموز/يونيو، وهو يوم إعلان تَشكُّل المجموعة، بعد أن عرفوا بالتفجير الذي أدى إلى مقتل أربع شخصيات أمنية رفيعة في النظام في دمشق ذلك اليوم. أشار هؤلاء وغيرهم من قادة المجموعة إلى أن حملتهم "لتحرير" حلب باتت وشيكة في فيديو على يوتيوب صُوِّر وحُمِّل ذلك اليوم. بدأت الحملة في اليوم التالي.

Richard Spencer "Aleppo is becoming Syria's Stalingrad" op. cit.; also www.youtube.com/watch?v=cwTnJEV8aRU.

[163] مثل تشكيل لواء التوحيد وما تلاه من الهجوم على حلب من عدة جبهات نجاحاً من حيث التنسيق، بالنظر إلى الحجم غير المسبوق والتلاحم بين القوات المنتشرة. في 21 تموز/يوليو، دخل مقاتلوه المدينة من اتجاهين، الجنوب الغربي والشرق. وبدعم من قوات داخل المدينة، قاتلوا وشقوا طريقهم نحو مركز مدينة حلب، وأسسوا ما يشبه السيطرة على جزء كبير من قسمها الجنوبي الشرقي في الأيام الأولى من آب/أغسطس. زعم مدير عمليات لواء التوحيد بأنه يقود 8,000 مقاتل، رغم أن صحفياً غربياً في حلب قدر العدد بـ 2,000. انظر مقابلة عبد القادر صالح مع مراسل الجزيرة في حلب في لقاء اليوم، الجزيرة، 11

إلى ملء الفراغ الأمني المتزايد، إلا أن سجله في تنفيذ ذلك مختلط؛[164] وساعدت هجماتها في حلب على تعزيز خطوط التماس الاجتماعية بإبراز بعض الأوجه الأكثر سواداً لمجموعات المعارضة المسلحة، في حين فشلت في المحافظة على مكتسباتها ضد النظام.

أحجمت حلب عن المشاركة في الثورة التي شاركت بها معظم البلدات والمدن المحيطة بها، ولذلك فإن جزءاً كبيراً من سكان المدينة أخلوها.[165] وفي هذه الأثناء كان الثوار من الريف المحيط بحلب يخوضون معارك ضد قوات النظام للسيطرة على أحياء المدينة. النظام، الذي لم يكن راغباً في وضع قواته التي كانت تقاتل في أكثر من مكان في معارك مدن تشكل مخاطرة بالنسبة لها، صعّد هجومه المضاد في 24 تموز/يوليو باستعمال القوات الجوية، وقصف المناطق التي يسيطر عليها الثوار عن بعد.[166]

كثير من الحلبيين الذي ظلوا في المدينة يحمّلون المسؤولية للمعارضة المسلحة جراء خسائرهم الكبيرة ومعاناتهم، وذُكر عن توترات نشأت بين السكان والمقاتلين؛ حيث يشك ككثير من السكان بالاستراتيجية التي اتبعتها المعارضة وكانوا غاضبين لأن القرار بغزو المدينة أجبرهم على النزوح من منازلهم.[167] كما ساهمت عدم قدرة لواء التوحيد على منع ارتفاع معدلات الجريمة، كما أن تعامله الوحشي مع الموالين للنظام أساء إلى مكانته بين السكان.[168] في المحصلة، علق الحلبيون بين القصف الأعمى لنظام وحشي وانعدام تنظيم المعارضة التي فشلت في إعطائهم بديل ملموس قابل للحياة.

كما تعكس الميول الأيديولوجية للواء التوحيد (أو عدم وجودها) تلك الموجودة لدى مجموعات المعارضة الرئيسية. رغم أن مقاتليه يشيرون إلى أنفسهم على أنهم أعضاء في الجيش السوري الحر، فإن القيادة تعترف بأن علاقتها به رمزية أكثر منها فعلية.[169] كمعظم التشكيلات المقاتلة تحت راية الجيش السوري الحر، فإنه يرفض أي أيديولوجية معينة، ويستحضر بدلاً من ذلك التزاماً واسعاً بمبادئ الديمقراطية والتعايش بين الطوائف إضافة إلى إظهار علامات التقوى السنية الشخصية بشكل متكرر ويميّز أفراده أنفسهم عن جبهة النصرة والمجموعات الأخرى عند نهاية الطيف السلفي بالادعاء بأنهم يسعون إلى قيام دولة تقوم على المواطنية العلمانية والمساواة بين الطوائف.[170]

آب/أغسطس 2012، www.youtube.com/watch?v=r7yiezX66x4; also Erika Solomon "Syrian aircraft strike Aleppo rebels claim successes" Reuters,1 Aug 2012. إلا أن المجموعة فشلت في التنسيق مع القوى المحلية الأخرى، وذُكر أنها شنت الهجوم ضد مشورة ودعم المجلس العسكري للجيش السوري الحر في حلب وريفها. انظر Charles Levinson "Leadership rifts" op. cit. المجلس العسكري وغيره من المجموعات المحلية، بما في ذلك فصائل الجيش السوري الحر وكتائب أحرار الشام، بدأ بتقديم الدعم الكامل فقط بعد الهجوم، وظل التنسيق ضعيفاً، حيث ذُكر أن نزاعات نشأت حول الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها. Erika Solomon "Syria rebels" op. cit.; also Richard Spencer "Syrian rebels state William Hague's £5m aid is hopelessly inadequate" *The Telegraph* 12 August 2012.

[164] في الاجتماع الأخير لقادة الثوار المحليين قبل إعلان تشكيل لواء التوحيد، حذّر عبد العزيز السلامة من أن أي مقاتل يلحق الأذى بحياة أو ممتلكات المدنيين سيعاقب بنفس الطريقة التي يعاقب بها أفراد الشبيحة. وأضاف أن جميع الأسرى سيحاكمون من قبل لجنة قضائية ستدير أيضاً سجنين. انظر www.youtube.com/watch?v=aV4byuWfjIk. مع اكتساب مقاتلي المجموعة مزيداً من الزخم على أطراف المدينة، حثت قيادتها فصائل الثوار الأخرى في حلب والمواطنين على المساعدة في المحافظة على القانون والنظام، www.youtube.com/watch?v=KijtM6eD0FY. رغم السرعة في تشخيص مشكلة خطيرة، فإن المجموعة لم تنجح عندما تعلق الأمر بإيجاد حل للفراغ المؤسساتي؛ وتقوضت خططها الطموحة في تعيين قادة مسؤولين عن الإشراف على أحياء بعينها بسبب عدم تمكنهامن الحصول على تعاون الفصائل الأخرى للمقاتلين. لقطات الفيديو التي تصور مقاتلي لواء التوحيد وهم يجمعون القمامة من شوارع المدينة، والتي هدفت إلى إظهار صورة للنظام والمسؤولية، طغت عليها مقاطع نُشرت تصورهم وهم يعدمون زينو بري، أحد قادة الشبيحة سيء السمعة في حلب، وأفراد من عائلته بدم بارد وفي وضح النهار. انظر www.youtube.com/watch?v=Gfqe0L-mTo0 and www.youtube.com/watch?v=wikFenHocII.

[165] في 31 تموز/يوليو، ذكرت الأمم المتحدة أن 200,000 شخص قد هربوا من حلب، في حين أن 15,000 لجأوا إلى المباني العامة. "Syria: Aleppo fighting traps thousands UNHCR says" BBC,31 July 2012.

[166] انظر Loveday Morris "Dozens dead as war planes bomb Syria's biggest city" *The Independent* 25 July 2012.

[167] شعر النشطاء في حلب بالقلق إزاء الكلفة الإنسانية المرتفعة جراء انزلاقها المفاجئ إلى الحرب ولأن ذلك يمكن أن يجعل الكثير من السكان يتحولون ضد المعارضة. "أتت الحملة العسكرية للاستيلاء على حلب قبل أوانها"، على حد تعبير ناشط محلي مسيحي، "لأن الكثير من الناس هنا لم يروا العنف الذي تمارسه الحكومة والذي كان يمكن أن يقنعهم بالحاجة إلى الجيش السوري الحر". ذكر النشطاء أن العديد من الذين نزحوا عن المدينة يحمّلون المسؤولية للثوار، وقدّر مدير إحدى المدارس التي تأوي السكان بأن "70% من الذين لجأوا إلى هذه المدرسة، موالون للنظام، أو على الأقل من أنصار الاستقرار". بدا قائد لواء التوحيد، عبد العزيز السلامة، غير متعاطف مع هذا المنظور: "لقد أنهت المحافظات الأخرى ثورتها في حين أن حلب لم تبدأ بعد. يمكن أن تنتظر مئة عام، وحلب لن تكون مستعدة". انظر "Syria: Some in opposition fear rebels miscalculated" *The Los Angeles Times*,op. cit.

[168] للمزيد حول موجة الجرائم العنيفة التي حلت بحلب منذ تصاعد العنف في المدينة، انظر "Crime wave engulfs Syria as its cities reel from war" *The New York Times*,10 August 2012.

[169] مقابلة قائد عمليات لواء التوحيد عبد القادر السلامة مع الجزيرة، لقاء اليوم، مرجع سابق؛ وكذلك www.youtube.com/watch?v=8kPf37O1MnQ ؛ ولمشاهدة الفيديو لمقاتلي لواء التوحيد وهم يشيرون إلى أنفسهم على أنهم جزء من الجيش السوري الحر بعد اكتساحهم لمجمع زينو بري، انظر www.youtube.com/watch?v=wikFenHocII.

[170] في مقابلته مع الجزيرة، تطرق عبد القادر السلامة لقضية الأقليات: "العرب والكرد، والأشوريون، والمسيحيون، جميعاً في دولة واحدة ونحن شعب واحد، ونحن جميعاً متساوون كأسنان المشط. نحن شعب واحد ... هناك أقليات لكن لديها حقوق، كما أن لدي حقوق ... ليس هناك اختلاف بين مسيحي أو [أي شخص آخر] ... للجميع حق المواطنة على هذه الأرض". انظر لقاء اليوم، مرجع سابق.

يبدو أن المبدأ الموجه للواء التوحيد هو البراغماتية أكثر من أي شيء آخر. قائده الميداني عبد القادر الصالح وصف جبهة النصرة والمجلس الوطني السوري بأنهم "أخوتنا"، مشيداً بالأولى لدورها في المعركة والأخير لتمثيله المعارضة.[171] أن يأتي ذلك من قائد للثوار متلهف للحصول على الدعم المادي والتكتيكي، فإن هذا المديح أمر مفهوم، رغم أن المنظمتين المعنيتين تتشاطران عداوة متبادلة.[172]

تجمع أنصار الإسلام

شُكِّل التجمع في 8 آب/أغسطس 2012، وهو يضم سبعة من فصائل الثوار الناشطة في دمشق والضواحي المحيطة بها. وتضم هذه الفصائل بشكل أساسي أبرز الفصائل السلفية المستقلة في المنطقة، وهو لواء الإسلام، إضافة إلى فصائل قيادية في الجيش السوري الحر ترتبط بالمجلس العسكري في دمشق وريفها.[173] كما في حال تحالفات الثوار الأخرى، يبدو أن العضوية في هذه الكتائب متذبذبة، والمشاركة لا تستبعد التعاون مع أو حتى العضوية في تحالفات منفصلة للمقاتلين.[174] الرسالة المعلنة لهذا التحالف ـ "توحيد الجهود في دمشق وريفها من أجل الإطاحة بعصابة الأسد" ـ تعكس غياب أيديولوجيا واضحة؛[175] وبتلك الروح، فإن العلم الثلاثي للثوار يوجد جنباً إلى جنب مع الأعلام الإسلامية السوداء على مواده المنشورة على الإنترنت، وتحتوي صفحته على الإنترنت على مقاطع تسهم بها جميع أجزاء الطيف الأيديولوجي.[176] أعلنت المجموعة مسؤوليتها عن أول عملية كبرى في 15 آب/أغسطس 2012، وهي هجوم بشاحنة مفخخة على بناء عسكري بالقرب من الفندق الذي يقيم فيه موظفو الأمم المتحدة.[177]

لواء الحق

أسس لواء الحق في 11 آب/أغسطس 2012، ويضم كتيبة الأنصار وثلاثة فصائل مستقلة تعمل في حمص.[178] في أول بيان رسمي له، تعهد بمتابعة الجهاد إلى أن يتم استبدال نظام الأسد بالحكم الإسلامي العادل؛ وبرر تأسيسه كخطوة نحو توحيد صفوف الثوار.[179] رغم ذلك، فإن فشله في اجتذاب الفصائل البارزة التي كانت كتيبة الأنصار قد عملت معها في الماضي تشير إلى أنه لم ينجح في توحيد مشهد المجموعات المسلحة في حمص.

جبهة تحرير سورية

تشكلت الجبهة في 12 أيلول/سبتمبر 2012، وتقدم نفسها على أنها تحالف مستقل غير مسبوق يتكون من الفصائل النشطة في عدة محافظات، بما في ذلك اثنتين من أبرز قوات الثورة: لواء صقور الشام وكتائب الفاروق.[180] في البيان التأسيسي المسجل بصوت قائد

---

[171] المرجع السابق. متحدثاً عن جبهة النصرة، قال الصالح، "جبهة النصرة أخوتنا ... هدفنا هو الإطاحة بالنظام، ولذلك فنحن نرحب بجميع أولئك الذين يقاتلون على الأرض، وهم يقاتلون على الأرض كجميع الكتائب الأخرى في الميدان". ومتحدثاً عن المجلس الوطني السوري، قال، "المجلس الوطني السوري يمثل لواء التوحيد" خارجياً وسياسياً، ويمثل المعارضة داخل [سورية]. أما الآن، فإن الوضع بحاجة إلى أشخاص مهرة، سواء من الجيش السوري الحر في خارج [سورية] أو من المجلس الوطني السوري. نحن نطلب من هؤلاء الأشخاص المهرة أن يأتوا إلى هنا على الأرض لتنظيم وترتيب المسائل معنا. هذه معركة وبعد المعركة سيكون هناك مؤسسات ومكاتب حكومية. ولذلك نطلب من أخوتنا في المجلس الوطني السوري أن يأتوا وينضموا إلينا على الأرض، وفي نفس الوقت نشكرهم على جهودهم حتى الآن". المرجع السابق.

[172] كما لاحظنا، ففي فيديو عرض على يوتيوب في 27 تموز/يوليو ظهر ستة مقاتلين يعلنون مسؤوليتهم عن تعطيل دبابة تابعة للجيش السوري نيابة عن جبهة النصرة؛ وقرب نهاية الفيديو، يصرخ صوت "لواء التوحيد" في محاولة واضحة للقول بأن المجموعتين تعاونتا، .www.youtube.com/watch?v=tKlkJM95nhA لقطة منفصلة أطلقت في 13 آب/أغسطس أظهرت مقاتلي جبهة النصرة يحتفلون إلى جانب مقاتلي لواء التوحيد ومدنيين محليين، .youtube.com/watch?v=Qdn33XS6TY0.

[173] الفصائل السبعة المؤسسة للتحالف هي لواء الإسلام، وكتائب الصحابة، ولواء الفرقان، ولواء أحفاد الرسول، وكتائب ديرة الشام، ولواء الحبيب المصطفى وكتيبة حمزة. كتائب الصحابة مرتبطة بالجيش السوري الحر وأعلنت مسؤوليتها عن عمليات مشتركة مع المجلس العسكري بدمشق؛ ولواء الفرقان يزعم أيضاً أنه جزء من الجيش السوري الحر. www.youtube.com/watch?v=wgwXrAMDf5o&feature=playe .r_embedded.

[174] لواء أحفاد الرسول، وهو فصيل تبنى راية الجيش السوري الحر ويزعم أنه لعب دوراً في تفجيرات 15 آب/أغسطس و 2 أيلول/سبتمبر في وسط دمشق، في منشأة عسكرية قرب ساحة الأمويين، أشير إليه أنه بين الأعضاء المؤسسين لتجمع أنصار الإسلام. إلا أن مواده على الإنترنت تعرّفه كعضو في تحالف تحرير الشام، وهو تحالف آخر ينشط في العاصمة. أحفاد الرسول أعلنت مسؤوليتها عن كلا الهجومين بالتعاون مع لواء الحبيب المصطفى العضو في تحالف أنصار الإسلام، مما يشير إلى أنه يحتفظ بعلاقات قوية مع تلك المجموعة بصرف النظر عن عضويته أو عدم عضويته فيها. www.facebook.com/photo.php?fbid=410822018980348&set =a.391856570876893.92376.390654780997072&type=1and www.facebook.com/photo.php?fbid=346790115406184&set .=a.344692345615961.83315.344674672284395&type=1.

[175] انظر؛ .www.facebook.com/Ansar.islam.muster/info.

[176] خلال الأيام العشرة الأولى لعمليات المجموعة، أظهرت صفحتها على فيسبوك فتاوى أصدرتها اللجنة الشرعية للواء الإسلام، ومقاطع فيديو تظهر الشيخ السلفي السعودي محمد صالح المنجد ومقاطع فيديو ومواد لنشطاء تبرز بيانات رئيس الوزراء المنشق رياض حجاب،انظر .www.facebook.com/Ansar.islam.muster.

[177] انظر .www.youtube.com/watch?v=js-IKZpjYqI. المتحدث باسم أنصار الإسلام زعم أن التفجير حدث على بعد مئات الأمتار من الفندق وأن جميع عمليات المجموعة كانت بعيدة عن المناطق المدنية ومراقبي الأمم المتحدة، www.facebook.com/KataibAlShaba/posts/278420235608159 .. كما لاحظنا أعلاه، فإن أنصار الإسلام أكدت أنها لعبت دوراً في تفجير ثانٍ ضد نفس المنشأة بعد أقل من ثلاثة أسابيع.

[178] انظر .www.facebook.com/L.al7aq..

[179] بيان تأسيس لواء الحق على الموقع www.facebook.com/photo.php?fbid=332840816806438&set .=a.332836243473562.77547.331962640227589&type=1.

[180] طبقاً لنص البيان التأسيسي لجبهة ثوار سورية الذي نشرته كتائب الفاروق، فإن التحالف يضم 22 فصيلاً في حمص، وإدلب، واللاذقية، وحماة، والحسكة، وحلب، ودير الزور ودمشق. إلا أن أبرز مكوناته عن دمشق، تجمع أنصار الإسلام، أنكر أنه عضو فيه (انظر أدناه). www.facebook.com/photo.

صقور الشام أبو عيسى أحمد الشيخ والمنشور على صفحة الفاروق على فيسبوك، تذكر جبهة تحرير سورية أن أبو عيسى هو قائدها وأن "الشريعة الإسلامية مرجعيتها"، بينما تتعهد بالدفاع عن جميع السوريين بصرف النظر عن الطائفة أو العرق.[181] كما في حالة اتحاد ثوار حمص، فإن مثل تلك الإشارات الغامضة إلى الفكر الإسلامي ـ مع جرعة موازنة من التلميحات غير الملزمة إلى التعددية ـ تهدف إلى إرضاء جملة واسعة من المكونات وتَجنُّب احتمالات الانقسام الكامنة في برنامج أيديولوجي واضح.

من السابق لأوانه تقييم عمق ونطاق التنسيق الذي ستحققه الفصائل الأعضاء. ثمة تشوش واختلاط أوّلي يحيط بإطلاق التحالف ويشير إلى عقبات تعيق التعاون المثمر بين المجموعات التي تعمل في أجزاء مختلفة من البلاد. بعد ثلاثة أيام من التعريف عن نفسه كعضو في البيان التأسيسي للتحالف، أطلق تجمع أنصار الإسلام (وهو تحالف بارز لمقاتلي دمشق سنناقشه أدناه) بيانه الخاص منكراً أنه انضم إلى الجبهة.[182]

ج. قادة الرأي

1. ظاهرة عدنان العرعور

قلة من الأشخاص المرتبطين بالثورة يثيرون ذلك القدر من العواطف، الإيجابية أو السلبية، كعدنان العرعور، الداعية السلفي السوري. رغم وجوده في السعودية، فقد ظهر كشخصية محورية لأن موقفه المعلن وروايته للأحداث يلقيان صدى واسعاً لدى نشطاء المعارضة والمتشددين الذين يتابعون برنامجه التلفزيوني الذي تبثه عدة قنوات فضائية سلفية.[183] يعتبره المتعاطفون معه خصماً لنظام سيء، وساعدت نصائحه العملية للنشطاء والمقاتلين على الأرض وهجمته الشرسة على سياسيي المنفى في المحافظة على المعنويات في أحلك لحظات القمع الذي مارسه الأسد. أما منتقدوه، داخل وخارج المعارضة، فإنهم يعتبرونه انتهازيا استعمل الثورة لتحقيق أجندة مذهبية.

كلا الروايتان تحتويان عناصر من الحقيقة. ما من شك في أن العرعور غذى التيار الأكثر مذهبية في الثورة وزرع الشقاق بين مكوناتها السلفية وغير السلفية. إلا أن دوره كان أكثر تعقيداً مما يُصوَّر غالباً، كما يتضح من دوره الذي تحدثنا عنه أعلاه في دعم المجالس العسكرية. وبالفعل، وكما هو الحال بالنسبة للعديد من رجال الدين المقيمين في السعودية، من الصعب غالباً تحديد ما إذا كان العرعور ناقلاً (يقود مشاهديه نحو الجهاد المذهبي) أو عازلاً (يمتص غضب السلفيين المتشددين الذين يمكن دون ذلك أن يلجؤوا إلى تأييد القاعدة أو المجموعات الجهادية المحلية المماثلة).[184] من المرجح أنه يؤدي الوظيفتين؛ فقد ساعدت هجماته اللاذعة في إسباغ الشرعية على الخطاب المعادي للشيعة، إلا أنه في نفس الوقت استثمر قدراً كبيراً من مصداقيته السلفية المتشددة في الترويج لقيادة الجيش السوري الحر غير الإسلامية وإدانة التفجيرات الكبرى التي قامت بها جبهة النصرة. وهكذا، وفي أواخر أيار/مايو 2012، حث غير السوريين على الامتناع عن القتال في بلاده، مجادلاً بأن مثل ذلك النشاط سيلحق الضرر بالثورة.[185]

---

php?fbid=440670802643397&set=a.407216552655489.8667 .5.406242312752913&type=1. منذ تغيير الكلمة الأولى لاسمها من كتيبة الفاروق إلى كتائب الفاروق، توسع نشاطها من حمص وضواحيها التي كانت تشكل قاعدة لعملياتها لتضم فصائل في محافظات حماة، ودرعا، وإدلب ودمشق. انظر صفحتها على موقع فيسبوك-http://al www.facebook.com/Al.Farouq.Battalions and .farok.com/.

[181] انظر www.youtube.com/watch?v=LUrw5EiwWEA and www.facebook.com/photo.php?fbid=440670802643397&set .= a.407216552655489.86675.406242312752913&type=1.

[182] أقر تجمع أنصار الإسلام في بيانه المشاركة في المحادثات لتأسيس تحالف وطني للثوار إلا أنه ذكر أنه فوجئ عندما ذُكر في الإعلام الرسمي عن إنشاء جبهة تحرير سورية. وأضاف: "هذا الإعلان سابق لأوانه ونحن لا نتفق معه ومع تضمينه لاسمنا قبل اكتمال الإجراءات وقبل التوصل إلى اتفاق مع الكتائب والألوية الأخرى الفاعلة على الأرض"، www.facebook.com/photo.php?fbid=357513977667131&set= .a.344692345615961.83315.344674672284395&type=1.

[183] لقد حقق برنامج العرعور شعبية خصوصاً في المناطق الريفية والمناطق الحضرية التي تقطنها الطبقة العاملة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، جنوب ووسط وشمال سورية، تموز/يوليو 2011 - أيلول/سبتمبر2012. يظهر البرنامج مقابلات مع بعض أشهر أصوات الثورة، بما في ذلك عبد الباسط الساروت، وهادي العبد الله (وهو ناشط بارز في حمص) وقادة المجالس العسكرية ومتحدثين باسمها. يشير عدد من الفصائل المسلحة إلى العرعور في بياناتهم المسجلة على الفيديو وعلى صفحاتهم على فيسبوك، بما في ذلك كتائب الجيش السوري الحر والمجموعات السلفية المستقلة. لاحظ الصحفي أمير روزن خلال عمله في سورية شعبيته بين المجموعات المسلحة والحركة الاحتجاجية الأوسع، "Islamism and the Syrian Uprising" *Foreign Policy* (online),8 March 2012. إلا أن شعبيته تبقى محدودة بين النشطاء والمقاتلين الأكثر اعتدالاً، الذين يخشون أن صورته ستسيء إلى سمعة الثورة.

[184] حقق العرعور صيتاً سيئاً على نحو خاص لتهديده بتقطيع أجساد العلويين الذين يشاركون في قمع النظام ورميها للكلاب. رغم أنه قال أيضاً إن العلويين الذين يدعمون الثورة ينبغي مكافأتهم والذين يظلون حياديين ينبغي تركهم وشأنهم، إلا أن الفرق بين هذه المجموعات يرفضه النقاد والمؤيدون على حد سواء. عندما حذرت كتيبة ذو النورين (وهو فصيل سلفي ينشط خارج حمص) العلويين من أنهم إذا لم يتوقفوا عن دعم النظام، فإن المجموعة ستبدأ بمهاجمة قراهم، وشكرت عدنان العرعور والقنوات الفضائية السلفية ذات الشعبية. لرؤية مقطع الفيديو الذي يحتوي تهديد العرعور، انظر "العرعور سيفرم العلويين بالمولينكس ويرميهم للكلاب"، 11 آب/أغسطس 2011، www.youtube.com/watch?v=GA0A_YoEcO0؛ وأيضاً كتيبة ذو النورين، "بيان رقم 2"، 11 أيار/مايو 2012، www.youtube.com/watch?v=fQZvjUE- .Zdc&feature=youtu.be.

[185] في أيار/مايو 2012، قال العرعور، "من غير المسموح لغير السوريين دخول سورية من أجل [محاربة النظام]". وأشار إلى أن المقاتلين الأجانب سيثيرون المشاكل المحلية والخارجية، والأكاذيب والفبركات، وإلى ظهور القاعدة"؛ وشجع غير السوريين على تقديم أشكال أخرى من الدعم؛ لكنه أكد: "نحن لا نريد الناس أن يسافروا إلى سورية، لن نقبلهم"،

يكمن سر نجاحه في تقديم ما يتلهف إليه السلفيون، وفي نفس الوقت فهو حذّر من عدم تنفير أنصار الثورة الرئيسيين، وتحقيق التوازن بين الدعوات العاطفية للقتال والمجادلات الاستراتيجية والدينية العقلانية. من بين الأمثلة على تحقيقه هذا التوازن أنه يصف الثورة بشكل متكرر على أنها جزء من صراع سني أوسع ضد القمع الشيعي، إلا أنه يشرح أيضاً أن المسيحيين والعلويين الذين ينضمون إلى هذا الصراع ستكون مكافأتهم ضعف مكافأة السنة وأن أولئك الذين يختارون الصمت سيعاملون على أنهم حياديون، في حين أن الصمت السني جريمة. وعلى نحو مماثل، يجادل أن الإسلام يحظر العقاب الجماعي (وهكذا فإن العلويين الذين لا يقاتلون لا ينبغي أن يتحملوا مسؤولية جرائم الشبيحة العلويين) وفي نفس الوقت يحمّل المسؤولية عن مجزرة الحولة لـ "النصيريين" القادمين من القرى المجاورة، متجاهلاً أي تمييز بين القتلة والطائفة العلوية بشكل عام.[186] وفي هذا الصدد أيضاً، فإن موقفه يختصر الرغبات السنية الأوسع؛ من حيث المبدأ يعتنق مبدأ التعايش بين الطوائف، لكن في ضوء المذابح المذهبية، فإنه يساوي بشكل متزايد بين النظام والطائفة العلوية.

2. شخصيات سلفية أخرى

العرعور ليس السلفي الوحيد المقيم في الخليج الذي يبشر عن طريق القنوات التلفزيونية ويتمتع بالدعم في أوساط المعارضة. في الأشهر الأخيرة، أصبحت الإشارات إلى شخصيات سلفية غير سورية أكثر شيوعاً على مواقع النشطاء المتشددين على الإنترنت. يمكن أن يعزى بروز هؤلاء إلى ثلاثة عوامل: التغطية الواسعة والحماسية للثورة على الشبكات الفضائية السلفية؛[187] والطابع المذهبي المتنامي للصراع؛ وحملات جمع التبرعات التي يقوم بها سلفيون بارزون من أجل مقاتلي المعارضة.

لقد حذّر سلفيون بارزون، مثل رجل الدين الكويتي نبيل العوضي والداعية السعودي محمد العريفي، منذ وقت طويل السنة من المخاطر التي تمثلها إيران، وحلفاؤها العرب الشيعة والمذهب الشيعي نفسه. لقد مكّنهم حضورهم على القنوات السلفية ذات الشعبية واستعمالهم الفعال جداً لوسائط الإعلام الاجتماعية ـ لدى العوضي حوالي مليون تابع على تويتر ولدى العريفي حوالي مليونين ـ من تصوير الثورة على أنها صراع سني قبل أن يقر القادة البارزون في المعارضة ووسائل الإعلام العربية الصديقة علناً بالديناميكيات المذهبية للصراع. من وجهة نظر العريفي والعوضي، فإن الثورة لا تجسد صراعاً من أجل الديمقراطية بل جهاداً نيابة عن السنة ضد نظام علوي مشرك يشن حرباً واسعة النطاق ضد الإسلام كجزء من مؤامرة شيعية أوسع تقودها إيران.[188] بالنسبة لبعض الثوار السوريين، فإن الثمانية عشر شهراً الماضية أضفت المصداقية على هذه الرواية السلفية. باتت بيانات العريفي والعوضي أكثر انتشاراً وحضوراً على صفحات فيسبوك السنية السلفية وتظهر أحياناً على مواقع النشطاء الرئيسيين أيضاً.[189]

رغم أن المقاتلين المتشددين يرحبون بالتبرعات والمساعدات السلفية، إلا أنها أدت إلى تعقيدات. لقد جادل عدنان العرعور نفسه ضد الحملات المستقلة وغير المنسقة لتسليح كتائب بعينها، وحث على أن يتم جمع الموارد بشكل مركزي لتحقيق المساءلة وتأسيس هيكليات قيادة وسيطرة متماسكة وتجنب المنافسة الداخلية المدمرة.[190] في أيار/مايو 2012، أعلنت الحكومة السعودية أن جميع التمويل الذي يتم جمعه في المملكة سيتم توجيهه من خلال القنوات الرسمية؛ وأجبرت العريفي على إلغاء حملة جمع تبرعات من أجل المقاتلين السوريين.[191] رغم ذلك، فإن الحملات المستقلة لجمع التبرعات تستمر دون هوادة في بلدان الخليج الأخرى.[192] في الكويت، على سبيل المثال، استفادت جبهة ثوار سورية من جهود جمع التبرعات التي قام بها حجاج بن فهد العجمي، رجل الدين السلفي.[193] من المرجح أن مثل هذه الجهود غير المنسقة ستفاقم من انعدام التنظيم والتنافس بين مجموعات المعارضة، وستسمح للكتائب المستقلة بالازدهار وتقوية النفوذ السلفي أكثر فأكثر.[194]

www.youtube.com/watch?v=1hta1vZPWEs and .www.youtube.com/watch?v=rWqxmNmd7Sc.

[186] "مع سورية حتى النصر"، www.youtube.com/watch?v=2DqtoxR9tqM؛ .www.youtube.com/watch?v=KT1PbIfwhW0

[187] تعليقاً على أهمية القنوات القضائية العاملة في الخليج بالنسبة لصعود السلفية، قال أحد مسؤولي النظام من دير الزور: "السلفية نزعة جديدة في الواقع. لقد ترسخت ثقافة الجهاد في سورية بعد غزو العراق، لكنها لا تتمتع بقاعدة أيديولوجية. ليس لدينا شيوخ سلفيون بهذا الوصف. إنهم يحققون النفوذ من خلال القنوات الفضائية وإيجاد الروابط مع الإشارات التاريخية الموجودة بشكل أكثر رسوخاً في ثقافتنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دمشق، آذار/مارس 2012.

[188] انظر خطبة العريفي في كانون الثاني/يناير 2012، "مشاهداتي في سورية"، محمد العريفي، 13 كانون الثاني/يناير 2012، www.youtube.com/watch?v=XglXxqhcHwE؛ وخطبة العوضي، "خطير جداً ... أكبر مؤامرة تستهدف الأمة الإسلامية، 23 آذار/مارس 2012، .www.youtube.com/watch?v=_pZZrdPYGBA

[189] صفحة لواء الإسلام الدينية على فيسبوك "تحب" الصفحة الرسمية للعريفي، وكما رأينا، استعملت مواد عن العوضي في عدة مناسبات. انظر .www.facebook.com/is.br.gr.Sharia

[190] انظر "مع سورية حتى النصر"، مرجع سابق.

[191] Ellen Knickmeyer "Saudis back rebels mindful of past" .*The Wall Street Journal*,15 August 2012.

[192] في خطبة ألقاها العريفي في الرياض في 16 آذار/مارس، قال للسوريين، "أموالنا معكم، وبإذن الله ستصلكم أسلحتنا قريباً". في 26 أيار/مايو، انضم إلى رجال دين سعوديين بارزين آخرين في تأسيس لجنة العلماء المسلمين لدعم سورية، وهي مجموعة تهدف إلى جمع التبرعات للثوار في أعقاب مجزرة الحولة. السلطات السعودية أجبرت الحملة على التوقف بعد يومين؛ وأشار المعلقون السعوديون المقربون من الحكومة إلى الحاجة إلى منع وصول المال إلى المتطرفين كسبب رئيسي لقرار الحكومة. انظر خطبة العريفي، رسالة للمرابطين بسورية؛ انظر أيضاً .www.youtube.com/watch?v=re7NHDd1Nm8

[193] يستعمل العجمي حسابه على تويتر لإعلام المتبرعين المحتملين أين ومتى يمكنهم التبرع. وقد عبر عن إعجابه بكتائب أحرار الشام بوصفها المجموعة المقاتلة الأقوى والأفضل تنظيماً. انظر https://twitter.com/hajjajalAjami and his 1 June tweet https://twitter.com/hajjajalAjami/status/20854795076542054 .4.

[194] مسؤول أمريكي زعم بأن النظامين السعودي والقطري كانا قد استنتجا بأن مساعدة المجموعات السلفية المتشددة يمكن أن يحدث آثاراً

3. غياب الشخصيات القيادية المعتدلة

إن نجاح السلفيين الخليجيين أو المقيمين في الخليج في تعزيز نفوذهم بين المتشددين من الثوار والنشطاء يعكس جزئياً غياب قيادة دينية وسياسية معتدلة وفعالة. لقد ظلت العديد من الشخصيات الدينية القيادية صامتة أو موالية للنظام. الشخصيتان الأكثر بروزاً في المؤسسة الدينية السنية، محمد سعيد رمضان البوطي والمفتي أحمد حسون، دافعا عن النظام منذ اندلاع الاحتجاجات، في حين يهزأ أنصار المعارضة بهما بوصفهما بيدقين للحكومة.[195] رجال دين بارزون آخرون ظلوا صامتين؛ بعضهم على حد تعبير إحدى مدونات المعارضة، يتذبذبون بين "الإشارة أحياناً؛ والتحذير في أحيان أخرى" - أي، التلميح بتأييد الثورة وفي نفس الوقت التحذير من مخاطر المظاهرات غير المرخصة والدفاع المسلح عن النفس.

في الأشهر الأولى للثورة، برز أسامة الرفاعي إمام جامع الرفاعي في حي كفر سوسة في دمشق، كاستثناء نسبي، حيث انتقد بقوة قمع النظام وسمح بأن يصبح جامعه نقطة انطلاق للمظاهرات. في آب/أغسطس 2011، نُقل إلى المستشفى للمعالجة من جراح أصابته عندما اقتحمت قوات الأمن الجامع في أكثر الليالي قدسية في رمضان (ليلة القدر)؛ واختفى عن المشهد، وذكر في أواسط 2012 أنه غادر البلاد.[196] اتخذ الآن من اسطنبول مقراً له وأسس رابطة من الشخصيات الدينية في المنفى، مثل شقيقه، سارية، واثنين من أكثر خطباء دمشق تأثيراً، كريم راجح وراتب النابلسي. حاليا ترك البلاد جميع أفراد النخبة الدينية ؛ ورغم أن ذلك مكّنهم من التشدد في موقفهم، إلا أن هذا التحول أتى متأخراً جداً إذ لا يمكنه إصلاح الضرر الذي لحق بمصداقيتهم. إن المؤسسة الدينية التقليدية ظلت على الهامش بصورة عامة، غير مستعدة أو غير قادرة على مواجهة النظام بشكل مباشر.

لقد تقوضت سمعة سياسيي المعارضة، بما في ذلك أولئك الذين يقيمون في المنفى منذ وقت طويل والآخرين الذين تركوا البلاد خلال الثورة بسبب الاقتتال الداخلي وانعدام الكفاءة والقدرة. وقد كان لذلك أثر مدمر على المجلس الوطني السوري، الائتلاف الذي يضم مجموعات المعارضة؛[197] كما أضر ذلك بالإخوان المسلمين، الذين يتمتعون بنفوذ كبير داخل المجلس رغم بقائهم في الظل إلى حد كبير (ورغم الضغوط الكبيرة التي يمارسونها وراء الكواليس) ويتجنبون فرض أنفسهم على أنهم الوجه الشعبي للمعارضة. رغم أن هذه الاستراتيجية لا تتعارض مع جهودهم لتوسيع نفوذهم على الأرض بشكل أساسي من خلال التمويل والرعاية،[198] فقد حد ذلك بشدة من قدرة الإخوان على ممارسة دور واضح في توجيه الثورة، وبدلاً من

عكسية. وعند هذه النقطة، على حد قوله، فإن تمويل مثل تلك الكيانات يأتي من مواطنين خليجيين؛ رغم أن حكوماتهم سعت لوضع حد لمثل ذلك التمويل، فإنه وصف سجلها في هذا المجال بأنه مختلط. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، أيلول/سبتمبر 2012.

[195] لقد فقد العديد من خطباء الجوامع المحليون مصداقيتهم أيضاً. أحد النشطاء القياديين في ضاحية عربين قرب دمشق شرح غياب الاحترام لرجال دين محليين قائلاً: "المشايخ هنا ينتمون إلى الأجهزة الأمنية وحزب البعث. لقد أخبرنا المشايخ بأن لا نخرج وأن لا نشاهد القنوات المنحازة [المعادية للنظام]. خرجنا ضد المشايخ، وهتفنا ضد هذا الشيخ أو ذاك. لم يكن هناك مشايخ جيدون يناصرون الشعب هنا: إما كانوا خائفين، أو موالين للنظام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، كانون الأول/ديسمبر 2011. تم التعبير عن اتهامات مشابهة من قبل قادة المعارضة في أماكن أخرى. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، حلب، دمشق آب/أغسطس 2011، حزيران/يونيو 2012.

[196] انظر مدونة النشطاء أشيائي، 21 كانون الثاني/ديسمبر 2011، http://ashiaei.wordpress.com and www.facebook.com/photo.php?fbid=333469490069622&set=a.157418147674758.40365.157413294341910&type=1. شقيقه سارية الرفاعي، وهو رجل سوري بارز آخر، اختار مساراً حذراً للغاية، فاستمر بإلقاء الخطب في دمشق والتعبير عن تعاطفه مع الحركة الاحتجاجية في حين أنه لم يقر الثورة بشكل كامل. وكانت النتيجة رسالة مختلطة بالكامل، كان خصوم النظام وداعميه يقتبسون خطبه في كثير من الأحيان. لكن في أعقاب مجزرة الحولة، وضع ثقله خلف الثورة، وأدان عمليات القتل ودعا إلى إضراب عام لمدة ثلاثة أيام. لقي بيانه صدى، حيث احتفلت المعارضة بنجاح إضراب 31 أيار/مايو – 2 حزيران/يونيو. رغم ذلك، ومهما كان نفوذه قوياً بين طبقة رجال الأعمال في دمشق، فإنه لا يحظى بثقل كبير في نقاشات المعارضين المتشددين. بالنظر إلى قراره المتأخر في دعم المعارضة، فمن غير المرجح أن يبرز كبديل ذي مصداقية للأصوات السلفية المتشددة. انظر دعوته للإضراب في 29 أيار/مايو ، "كلمة الشيخ سارية الرفاعي بعد مجزرة الحولة"، www.youtube.com/watch?v=jZW1hwi4lxE. لقد كانت حمص استثناءً للقاعدة؛ حيث أن قياداتها الدينية السنية التقليدية لعبت دوراً كبيراً في التحريض على الثورة، وتشجيعها، وقيادتها والسيطرة عليها. على النقيض من ذلك، فإن غياب القيادة الدينية تبدو ملفتة في حماة، حيث لم يظهر أي قادة دينين نظراً لشكوك النظام التي تعود إلى الانتفاضة التي قادها الإخوان المسلمون في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينات. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قيادات سياسية في المعارضة، حماة، أيلول/سبتمبر 2012.

[197] حتى الشخصيات التي تحتفظ بالمصداقية لدى المعارضة تأثرت نتيجة تراجع شعبية معارضة المنفى بشكل عام. على سبيل المثال، عماد الدين الرشيد (وهو إسلامي معتدل بارز معروف بتمويله للمجموعات المسلحة) وهيثم المالح (القاضي السابق والناشط المخضرم الذي يحظى بشعبية) تراجعت شعبيتهماوتحولت وسائل الإعلام العربية المتعاطفة عنهما نحو نشطاء شباب على الأرض بدلاً من سياسيي المنفى.

[198] يبدو أن الإخوان المسلمين يعوضون عن ضعف ظهورهم الإعلامي بالاستثمار الكبير في المعارضة المسلحة. أحد سكان بلدة صغيرة شمال حلب قال، "على الأرض، يحقق الإسلاميون اختراقات من خلال شبكات تمويلهم وأنشطتهم الخيرية. الإخوان المسلمون يمارسون عملاً فعالاً بشكل خاص. لديهم مجال واسع للحركة. إنهم يستعملون خطاباً غامضاً ومرناً يمكن أن يعبئ الناس على نطاق واسع. كما أنهم يستثمرون بشكل كبير في الجيش السوري الحر. وهم يفضلون احتواء المجموعات المسلحة بتزويدها بالمال والسلاح بدلاً من إنشاء وحدات خاصة بهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، دمشق، أيار/مايو 2012. ثمة شائعات كثيرة تتعلق بتلقي مجموعات الثوار تمويلاً من الإخوان المسلمين. لقد ذكرت رويترز أن الجماعة تمول كتائب الفاروق، في حين أن قائد لواء صقور الشام أبو عيسى قطع صلاته مؤخراً مع هيئة حماية المدنيين التي تقدم الدعم المادي للثوار وتحتفظ بعلاقات رسمية مع عدة فصائل مقاتلة، بسبب التهمة بأنها تخضع لسيطرة الإخوان المسلمين. انظر www.facebook.com/is.br.gr.Sharia. متحدث باسم الإخوان المسلمين أقر بأن المنظمة كانت قد بدأت بتشكيل فصائل مسلحة داخل سورية قبل ثلاثة أشهر، "الإخوان المسلمون لـ*الشرق الأوسط*: أنشأنا كتائب مسلحة للدفاع عن النفس وعن المظلومين"، *الشرق الأوسط*، 5 آب/أغسطس 2012.

ذلك، اختبؤوا وراء هيكلية جامعة تبيَّن ضعفها وعدم قدرتها على الإقناع. إن غياب قيادة حازمة وبراغماتية، مصحوباً بتصاعد العنف المذهبي، كل ذلك جاء لصالح العناصر الأكثر تشدداً.

V. القيود التي تحد من قدرات السلفيين

آ. التعامل مع الحراك الشعبي

رغم أن الفوضى، والدمار وتصاعد النزعة المذهبية وفّر وبشكل متزايد ظروفاً مواتية للسلفيين، إلا أن السياق كان ما يزال يمثل تحدياً لهم؛ حيث أن شخصيات رئيسية في الثورة، إضافة إلى قاعدتها الشعبية، تعتنق أيديولوجيات متعارضة وتسعى لتحقيق أهداف متناقضة. العديد من النشطاء يدعون إلى برنامج غير مذهبي من أجل تطمين الأقليات التي تشعر بالقلق، بما في ذلك العلويين. وتلقى مثل هذه الجهود صدى واسعاً لدى السكان الذين باتوا يعرّفون مجتمعهم، خصوصاً في السنوات الأخيرة، بشكل يتعارض مع المذهبية التي دمرت لبنان والعراق.[199] كما أن ثمة فجوة ثقافية هائلة تفصل السلفيين المتشددين عن جزء كبير من شرائح المعارضة الرئيسية؛ حيث أن سلوكهم الفظ، ورفضهم لمعظم أشكال الفن والفنون الشعبية المعاصرة، وموقفهم الغامض من الديمقراطية وتلهفهم للسير بالبلاد نحو الحكم الإسلامي يتعارض مع ثقافة النشطاء الأكثر إبداعية والتي ازدهرت منذ بداية الثورة والتي ما يزال كثيرون يتمسكون بها رغم تراجعها في وجه العنف المتصاعد.

بمرور الوقت، تطورت الأوضاع وتغيرت. حتى وقت قريب، كان نشطاء المعارضة يرفضون قضية السلفية بمجملها، واصفين إياها بأنها ظاهرة هامشية،إن لم تكن حتى من صنع النظام. في أيار/مايو 2012، وفي محاولة للسخرية من إصرار النظام على أنه يواجه إرهابيين سلفيين وليس ثورة شعبية، عرضت صفحة الثورة السورية على فيسبوك فيديو يصور متظاهرين يغنّون في مظاهرة تحت العنوان الساخر: "العصابات الإسلامية المتطرفة تغني على إيقاع الموسيقى المحظورة في الأيديولوجيا التكفيرية".[200] وبدا أن السلفيين يعون تماماً المعركة الماثلة أمامهم والصعوبات التي تواجههم في نشر رسالتهم. في أولى رسائلها الصوتية في مطلع عام 2012، اشتكت كتائب أحرار الشام من نجاح النظام في تشكيل الرأي العام الشعبي باللجوء إلى مؤسسة دينية تحظر الجهاد وتحذر من تخلف

[199] مجموعات النشطاء احتفت دائماً بالعلاقات المنسجمة نسبياً بين الطوائف وشجعت على قيامها. جدير بالاهتمام أنه حتى وقت قريب كان أفراد من العلويين، والمسيحيين، والدروز وأعضاء أقليات أخرى يسافرون للمشاركة في مظاهرات في معاقل المعارضة السنية. ملاحظات لمجموعة الأزمات، دمشق وحمص، 2011-2012. رغم تزايد الانقسامات بعد مضي عام على بداية الثورة، فإن المؤيدين لها على الإنترنت صوتوا لتسيير مظاهرات يوم الجمعة في منتصف نيسان/أبريل تحت شعار "ثورة لكل السوريين"؛ إلا أن الاستطلاع أظهر أيضاً نزعات متعارضة، حيث أن المصوتين فازوا بهامش ضيق على شعار بديل يدعو "جيوش الإسلام للتدخل في سورية". Amal Hanano "Any Given Friday" Foreignpolicy.com 18 April 2012.

[200] تشير التكفيرية إلى إطلاق صفة الكافر على بعض المسلمين؛ ويتهم النقاد السلفيين التكفيريين باستعمال هذا المصطلح ضد خصومهم السياسيين؛ أي إنكار شرعيتهم بإعلان كفرهم، www.facebook.com/Syrian.Revolution/posts/310949788984090.

السلفيين.[201] أما اليوم، وعلى النقيض من ذلك، فقد أصبح من المستحيل تماماً إنكار وجود ونفوذ حركة أصبحت أكثر حضوراً وأكثر قوة. في المستقبل، من المحتمل أن تعتمد التقييمات الشعبية للسلفية ليس على التصريحات الأيديولوجية المجردة بل على القيمة المضافة؛ أي قدرة أعضائها على المساعدة بشكل عملي في القتال ضد النظام، مصحوبة بسلوكهم على الأرض وتسامحهم مع أنماط السلوك الشعبية التي تتعارض مع المبادئ السلفية الصارمة.

ب. نظام يعكر المياه

مع سعي نشطاء المعارضة لإظهار صورة شاملة، فإنهم كثيراً ما أدانوا محاولات النظام المزعومة لتصوير الثورة على أنها صراع طائفي صارخ وحشد الأقليات إلى جانبه.[202] وهذا يفسر إلى حد بعيد جهود المعارضة لإنكار وتجاهل الأصوات السلفية في صفوفها؛ ويجهد النشطاء في ظهورهم على المحطات الفضائية العربية في استعمال خطاب إسلامي أو طائفي صريح، وتحجم أكثر الصفحات المؤيدة للثورة على فيسبوك شعبية عن عرض مواد العرعور.[203] بشكل عام، فإن النشطاء يرفضون أي إشارة من النظام إلى السلفيين على أنها أمر متوقع، ومحاولات لا أساس لها لإخافة السكان بتشويه صورة الحركة الاحتجاجية.[204]

في هذا السياق، يجد السلفيون أنفسهم في موقف صعب، حيث يعززون من خلال سلوكهم وخطابهم من حجة النظام الذي يسعون لإزاحته. وقد كان التحدي حاداً على نحو خاص بالنسبة لجبهة النصرة وغيرها من المجموعات المسلحة التي تعاني من الدعاية الرسمية التي تبرز دورها وتضخّم التهديد الذي تشكله القاعدة،[205] وبسبب الشكوك واسعة الانتشار بأن النظام لم يتردد في الماضي في استغلال الشبكات الجهادية في لبنان والعراق لمصلحته.

أدانت قيادة الجيش السوري الحر، ونشطاء المعارضة ووسائل الإعلام المتعاطفة معها (خصوصاً الجزيرة والعربية) التفجيرات الكبيرة التي ضربت دمشق وحلب في النصف الأول من عام 2012، وجادلت بأن ذلك يسئ إلى القضية وأشارت إلى أنها مدبرة من قبل النظام.[206] وكانت المعارضة تشير دائماً إلى نفس الدليل المتمثل في الجهود الرسمية الحثيثة لتضخيم الهجمات ونسبها للقاعدة وتصوير الحركة الجهادية على أنها القوة الدافعة وراء الثورة؛ كما تشير إلى مزاعم بأن أجهزة المخابرات السورية كانت قد استعملت فتح الإسلام، وهي مجموعة جهادية تتخذ من لبنان مقراً لها، والجهاديين الذين كانوا يذهبون إلى العراق لتحقيق أهداف النظام.[207] كلما كان خطاب مجموعة سلفية معينة وسلوكها أكثر تطرفاً، كلما كانت المجموعة موضع شك بأنها تخدم النظام وكلما ضعفت مصداقية ادعاءاتها بأنها تقود الصراع ضد الأسد، اللهم إلا في أوساط داعميها المباشرين.

ج. دروس من الجوار؟

يبدو إرث العراق واضحاً للعيان من خلال التحذيرات المتكررة التي أطلقها النظام من حرب مذهبية وشيكة وكذلك استعمال العبوات الناسفة على الطرق والتي تستهدف في كثير من الأحيان القوافل العسكرية. يرى مقاتلو المعارضة في العراق مصدراً محتملاً للمال، والسلاح، والخبرات؛[208] و بذات الوقت يمكن للنظام أن يستعمل ذلك

[201] انظر أول رسالة صوتية لكتائب أحرار الشام، مرجع سابق.

[202] بثينة شعبان، مستشارة الأسد، ربما كانت أول من طرح الموضوع الطائفي في النقاش بعد أيام قليلة من بداية الانتفاضة، بوصف المظاهرات بأنها فتنة،
Phil Sands "Syria on brink of sweeping reforms" *The National* 28 May 2011. خلال الأسابيع الأولى للاحتجاجات، نشرت وسائل الإعلام الرسمية تقارير يشك بصحتها تزعم بأن عدة إمارات إسلامية تم إعلانها، وأن المقاتلين الإسلاميين قد بدأوا بحمل السلاح، على سبيل المثال، تقرير في 13 أيار/مايو 2011 بأنه تم الإعلان عن إمارة إسلامية في تلكلخ، وهي مدينة صغيرة في محافظة حمص، "ناصر مرعي أعلن إمارة إسلامية في تلكلخ السورية والسلطات تعمل على تفكيكها"، *Syria Now* 13 May 2012.

[203] كما أنها رفضت ترشيح شعار "إعلان الجهاد" كشعار لمظاهراتها يوم الجمعة. انظر وسيم أموي، مرجع سابق.

[204] انظر على سبيل المثال المادة الساخرة على مدونة الناشطة المندسة، في تقريرها حول إمارة حمص اف م، http://the-syrian.com/archives/3045.

[205] وسائل الإعلام الموالية للنظام تصف جبهة النصرة بأنها جزء من القاعدة أو تستعمل في كثير من الأحيان جبهة النصرة والقاعدة على أنهما تشيران إلى نفس الشيء.

[206] رغم أن المعارضة في البداية اتهمت النظام بتدبير التفجيرات، فإن بروز دور جبهة النصرة دفع بها إلى تغيير خطابها، مدعية أن المجموعة تعمل لصالح المخابرات السورية وتقوم بالتفجيرات بأوامر منها، على سبيل المثال ملاحظات لرياض الأسعد: المخابرات الجوية من أدخل القاعدة إلى سورية، الرياض، 14 أيار/مايو؛ وأيضاً المتحدث باسم الجيش السوري الحر خالد الحمود، النظام السوري يعلن مقتل مهندس تفجيرات جبهة النصرة. والجيش الحر يعتبرها فبركات، الشرق الأوسط 18 حزيران/يونيو 2012.

[207] تشير شخصيات المعارضة، والنشطاء وسائل الإعلام الصديقة للمعارضة بشكل متكرر إلى تقارير تزعم بأن النظام استغل الجهاديين، بما في ذلك مزاعم بأنه فبرك شريطاً يعلن فيه أحد الجهاديين مسؤوليته عن اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري عام 2005؛ واستعمل فتح الإسلام من خلال أجهزته الأمنية لإشاعة الاضطرابات في لبنان؛ وسهل تدفق الجهاديين إلى العراق؛ واستعمل أحد رجال الدين البارزين لتشجيع الجهاديين السوريين على القيام بذلك، ومن ثم اغتاله عندما أصبح عبئاً سياسياً. كما يشيرون إلى التهم التي وجهها في آب/أغسطس 2009، نوري المالكي، رئيس الوزراء العراقي، بأن النظام كان وراء تفجير كبير في بغداد. على سبيل المثال، انظر "كول أغاسي وفتح الإسلام والمخابرات السورية، كلنا شركاء"، 27 أيار/مايو 2012، http://all4syria.info/Archive/42756.

[208] من الصعب تقييم مستوى الدعم القادم من العراق للمجوعات المسلحة في سورية. رغم أن الصحفيين الغربيين يشيرون إلى أن هذا الدعم متواضع نسبياً، فإن أثره يمكن أن يكون كبيراً. إن انتشار استعمال العبوات الناسفة على نطاق واسع منذ شباط/فبراير 2012 يشير إلى أن الثوار السوريين قد اكتسبوا كفاءة في استعمال التكتيكات التي استعاروها من الجهاديين العراقيين. في أواخر آذار/مارس، قال أحد زعماء عشيرة الدليم القوية لصحفي في الفلوجة، العراق، إنه أرسل أسلحة وثلاثين مقاتلاً وخبير تفجيرات ومئات الآلاف من الدولارات إلى المجموعات

كحجة مضادة إذ يمكن للعراق أن يكون تحذيراً، من حيث أن المجموعات المسلحة في العراق لم تحقق شيئاً من أهدافها، سواء من حيث هزيمة الولايات المتحدة، أو مقاومة النفوذ الإيراني أو دعم الحكم الإسلامي السني، فإذا كانت قد حققت أي إنجاز، فإن إنجازها الرئيسي كان استثارة رد فعل عكسي من قاعدتها الاجتماعية.[209] النظام يعتبر العراق حليفاً ذا قيمة؛ بمعنى أنه يشكل صورة لسورية المستقبل إذا انتصرت المعارضة (التي يعتبرها مساوية للتطرف السني، والمساوي بدوره لإرهابيي القاعدة).

لقد أظهرت جبهة النصرة على وجه الخصوص علامات على سلوك مشابه لذاك الذي تبين أنه مهلك للمجموعات المسلحة العراقية. رغم أنها لم تصور حتى الآن عمليات قطع رؤوس أو تعلن مسؤوليتها عن هجمات ضد أهداف مدنية علوية أو شيعية، فإن خطابها الطائفي، واعتناقها التكتيكي للهجمات الانتحارية في المناطق السكنية وعدم حساسيتها بشكل عام للضحايا المدنيين تشبه إلى حد بعيد أفعال القاعدة في العراق. في البداية على الأقل، لم تظهر كبير اهتمام برد الفعل السلبي على عملياتها. استمرت في تفجيراتها في دمشق حتى بعد إدانة تفجيرها الأول في حي الميدان بقوة من قبل مؤيدي المعارضة، وكانت غامضة فيما يتعلق بالمسؤولية عن التفجير سيء السمعة في 10 أيار/مايو قرب منشأة أمنية رئيسية في حي القزاز في العاصمة وفي ساعة ذهاب الموظفين والعمال إلى عملهم في الصباح والذي أدى إلى مقتل 55 شخصاً وجرح المئات.[210]

إلا أن جبهة النصرة تبقى حتى الآن استثناءاً. معظم المجموعات المسلحة الأخرى سعت لتمييز تكتيكاتها ورؤيتها الاستراتيجية عن نظيرتها العراقية من أجل المحافظة على دعم المؤيدين الحاليين واكتساب القبول من الحياديين. أما الجيش السوري الحر والمجموعات السلفية الكبيرة فإنها لم تستعمل إلا على نطاق محدود الهجمات الانتحارية والتفجيرات في المناطق المدنية المزدحمة، وأحجمت عن تصوير قطع رؤوس الكفار المزعومين. كما أحجمت عن تبني دفاع القاعدة في العراق غير الموارب عن عمليات القتل المذهبية وأحجمت (لكن ليس دائماً) عن اختطاف الأجانب. كما سعت شخصيات الجيش السوري الحر إلى الانتقاص من مكانة جبهة النصرة (على الأقل قبل حملة حلب في تموز/يوليو) ورفضت تدخل القاعدة، بشكل يختلف كثيراً عن المحاولات غير المقنعة للجماعات المسلحة العراقية إبعاد نفسها عن القاعدة في العراق، التي أصبحت وحشيتها تشكّل التصورات الشعبية عن الجماعات المسلحة السورية.[211] علاوة على ذلك، ونظراً لمعرفتها بأهمية الرأي العام الغربي، فإن المجموعات السلفية المستقلة (بما في ذلك كتائب أحرار الشام ولواء صقور الشام) استضافت صحفيين أجانب.

وقد نشأ نقاش داخل المنتديات الجهادية حول الدروس المستقاة من العراق. في مقالة بارزة نشرت قبل أسبوعين من تأسيس جبهة النصرة، ذكر كاتب جهادي عدداً من هذه الدروس، بما في ذلك أنه ينبغي على الجهاديين عدم تشكيل فصائل مستقلة تختلف تكتيكاتها واستراتيجيتها عن تلك التي تستعملها قوى أخرى معادية للنظام؛ وينبغي أن تحجم عن أي نشاط من شأنه أن يقسم صفوف المعارضة؛ وأن تتجنب استهداف الأقليات أو التدخل في محاولات المعارضة اكتساب دعمها أو ضمان حياديتها.[212]

كما هو متوقع، فإن أفعال جبهة النصرة تسببت بانقسام في مجتمع السلفيين الجهاديين. بعض الشخصيات أبقت على دعمها في حين عبّرت شخصيات أخرى عن انتقاداتها. إضافة إلى تحفظات أبو بصير الطرطوسي المذكورة أعلاه، ففي حزيران/يونيو 2012، حث قائد كتائب عبد الله عزام (وهي مجموعة جهادية صغيرة تنشط في المشرق العربي) الجهاديين السوريين على الامتناع عن التفجيرات في المناطق السكنية وعن أي نشاط يمكن أن يؤدي إلى انقسام

المسلحة في محافظة دير الزور المجاورة. "Iraqis sending arms fighters into Syria" CNN 27 March 2012.

[209] انظر تقرير مجموعة الأزمات رقم 74، "العراق بعد الحشد (1): المشهد السني الجديد"، 30 نيسان/أبريل 2008.

[210] بعد يومين من التفجير، ظهر فيديو على يوتيوب يعلن مسؤولية جبهة النصرة عن التفجير، إلا أن جهاديين على الإنترنت أدانوا هذا الفيديو على أنه مزور، مشيرين إلى عدد من الأخطاء والمفارقات. في 13 أيار/مايو، أكد المنبر الإعلامي الرسمي لجبهة النصرة (المنارة البيضاء) أن الفيديو كان مزوراً لكنه لم يؤكد أو ينفي مسؤولية المجموعة وبدلاً من ذلك قالإنه لم يتلق بعد تأكيداً رسمياً من جناحها العسكري. انظر بيان جبهة النصرة رقم 8، "بيان نفي"، 13 أيار/مايو، http://alnusraa.blogspot.com/2012/05/8.html. لم تصدر جبهة النصرة أي بيان لاحق حول تفجير 10 أيار/مايو. دراسة أجراها "مركز أبحاث" إسلامي سوري، كما يصف نفسه، لتفجير 10 أيار/مايو، ونشر على المواقع الجهادية الرئيسية امتدح الهجوم على أنه يعزز موقف الجهاديين في سورية بتوجيه ضربة للجهود الدولية الساعية إلى حل تفاوضي للصراع، وأضعف قادة المعارضة في المنفى؛ وزاد في صعوبة تعاونهم مع المجتمع الدولي على حساب الجهاديين. انظر "جزاء الظالمين: تدمير فرعي فلسطين والدوريات، دراسة للعملية وآثارها"، مركز لواء الشام للإعلام والبحوث والتوثيق، أيار/مايو، http://ia601201.us. رغم أنه يصعب التحقق مما إذا كان كاتب الدراسة مرتبطاً بجبهة النصرة، فإن نشره والإعلان عنه على المواقع الجهادية (بما في ذلك "شموخ الإسلام") يشير إلى أنه يمثل تفكير شخصيات معترف بها في مجتمع الجهاديين.

[211] رغم أن العنف المفرط الذي استعملته القاعدة في العراق في المناطق السنية وعدم حساسيتها لمخاوف الزعماء القبليين وقادة الجماعات المسلحة أدت إلى أزمة بينها وبين الجماعات المسلحة القومية في عام 2007، وأتى هذا الخلاف بعد سنوات من التعاون أحجمت شخصيات رئيسية بين الجماعات المسلحة عن إبعاد نفسها عن القاعدة. حتى بحلول تشرين الأول/أكتوبر 2007، فإن حارث الضاري، رجل الدين السني البارز الذي تربطه علاقات بالجماعات المسلحة القومية، قال إنه يرفض بعض هجمات القاعدة، لكنه أضاف أن "القاعدة تبقى جزءاً منا، ونحن جزءاً منها". انظر "التوافق العراقية تنتقد تصريحات الضاري بشأن القاعدة"، الجزيرة، 10 تشرين الأول/أكتوبر 2007. في تحليل لاستراتيجية الجماعات المسلحة العراقية وتكتيكاتها الإعلامية خلال السنوات الثلاث الأولى من الحرب انظر Crisis Group Middle East Report N°50 *In Their Own Words: Reading the Iraqi Insurgency* 15 February 2006.

[212] انظر أبو الفضل ماضي، 10 كانون الثاني/يناير 2012، http://as-ansar.com/vb/showthread.php?s=3ee071f067561d26c74f83c8e4e284&t=53862.

المعارضة أو تنفير الأقليات. لم يحتو البيان على أي إشارة إلى جبهة النصرة، إلا أن الهدف المعني كان واضحاً.[213]

كما أن هناك مؤشرات، رغم أنها مبكرة وغير نهائية، على أن جبهة النصرة قد أجرت مراجعة لرد الفعل الذي أحدثته. رغم أنها ما تزال تعلن عن عملياتها الانتحارية، فإنها غيرت مقاربتها بعد تفجيرات 10 أيار/مايو التي لم تكن شعبية (والموصوفة أعلاه)، مستبعدة الأهداف التي يمكن أن توقع عدداً كبيراً من الضحايا المدنيين.[214] كما يشير ظهورها المشترك في آب/أغسطس مع مقاتلي لواء التوحيد إلى أن البعض داخل القيادة على الأقل يعترف بقيمة التعاون مع التيار الأساسي للمجموعات المسلحة وبناء المصداقية مع السكان المحليين. لكن هناك وجه آخر لهذه الظاهرة؛ فإذا كانت هذه النزعة الناشئة في حلب إشارة إلى تحول أوسع في استراتيجية جبهة النصرة على مستوى البلاد، فإن ذلك سيجعل من الصعب كثيراً على قادة المعارضة الرئيسيين ونشطائها نزع مصداقية وشرعية الجبهة واحتواءها.

---

[213] انظر، ماجد الماجد، ربيع الشام: كلمة أمير الكتائب "عبد الله عزام"، www.youtube.com/watch?v=3R09sTnPbpQ. رغم أن كتائب عبد الله عزام صغيرة وغير ذات أهمية كبرى فإنها تحظى بالاحترام داخل المجتمع الجهادي، وتحظى بالتغطية على المواقع الجهادية وتعتبر من قبل المحللين الغربيين مرتبطة بالقاعدة.

[214] تفجيرات جبهة النصرة في 3 تشرين الأول/أكتوبر في ساحة وسط حلب كانت حالة غامضة. كان ذاك هو الهجوم الأكثر شدة للمجموعة في حي مزدحم منذ ربيع عام 2012 وساعد على إلقاء الضوء على الوضع الراهن للرأي السائد في أوساط المعارضة حيال الهجمات الانتحارية في المناطق السكنية. التفجيرات، التي ناقشناها أعلاه، ولّدت ردود فعل متباينة بين قادة الثوار والناشطين في الساعات التي سبقت إعلان جبهة النصرة رسمياً عن مسؤوليتها. قدمت وسائل الإعلام المؤيدة للمعارضة (بما فيها الجزيرة والعربية) تغطية تخدم مصالح المعارضة، حيث أكدت على أن الأهداف – نادي الضباط وفندقين – كانت تستعمل كمراكز لتجمع قوات النظام العسكرية والشبيحة. بعض الثوار والنشطاء الذين ينتمون إلى فصائل المعارضة الرئيسية أطلقوا بيانات مماثلة، وركزوا على الخسائر البشرية في صفوف النظام وتجاهلوا مزاعم الحكومة بأن مدنيين كانوا بين الضحايا؛ على سبيل المثال، عبّر متحدث باسم الجيش الحر وعضو في لواء التوحيد عن دعمه للهجمات، وكذلك أبرز الصفحات المناصرة للثورة على فيسبوك. انظر "تفجيرات تهز حلب وعشرات القتلى والجرحى في صفوف قوات النظام"، *الشرق الأوسط*، 4 تشرين الأول/أكتوبر 2012؛ و Caroline Akoum,; Sam Dagher "Car bombs rock Syrian city" *The Wall Street Journal*,3 October 2012;www.facebook.com/photo.php?fbid=10152258699810727&set=a.10150397575815727.619133.420796315726&type=1.

إلاّ أن أصوات أخرى داخل أوساط المعارضة الرئيسية أدانت العمليات منتقدة استعمال الانتحاريين، واستهداف المباني المجاورة لمؤسسات الأعمال المدنية والمشاة وتدمير مقهى معروف بجوار ساحة سعد الله الجابري. ظهرت مثل هذه الآراء بشكل خاص على صفحات النشطاء الحلبيين، ما يشير إلى أن الهجوم قد يكون صعّد التوتر بين الحلبيين الأصليين وقوات الثوار النشطين في المدينة، والتي يطغى عليها المتشددون القادمون من الأرياف. انظر المواد المنشورة على المدونات والتي تدين الهجوم على موقع الناشطة الشعبية "المندسة" -http://the-syrian.com/archives/88575 and http://the-syrian.com/archives/88615. See also user reaction on the leading Aleppo-focused activist page (www.facebook.com/Aleppo.Revolution11) www.facebook.com/photo.php?fbid=431489620240499&set=a.167728499949947.41621.167323373323793&type=1 and www.facebook.com/photo.php?fbid=431470596909068&set=a.167728499949947.41621.167323373323793&type=1.

VI. الخلاصة

تمر المعارضة المسلحة بمرحلة صعبة، وقد تكون مدمّرة، حيث ستكون عالقة في حرب استنزاف ضد النظام وستعاني من التجزؤ والانقسام والتحول نحو التطرف. ولهذه الاتجاهات تداعيات خطيرة على مستقبل الثورة والمجتمع السوري برمته وتطرح عدداً من الأسئلة المحورية. أولاً، ما إذا كانت الانقسامات ستستمر، أو على العكس ما إذا كانت النزعة الأولية نحو مزيد من التنسيق ستساعد في نشوء هيكلية قيادية أكثر مصداقية وقدرة على التفاوض نيابة عن المعارضة وملء الفراغ الأمني الذي سيحدثه تآكل النظام؛ ثانياً، ما إذا كانت الطائفية ستستمر في تمزيق النسيج الاجتماعي وتعزيز جاذبية المجموعات السلفية المقاتلة المتطرفة.

ثمة أسباب تدعو إلى التخوف من أن التغيرات ستكون نحو الأسوأ. إن تصاعد حدة العنف، وإخفاقات المعارضة وتردد المجتمع الدولي سيعمق على الأرجح حالة اليأس التي ستعزز بدورها جاذبية المجموعات ووسائل الصراع الأكثر تطرفاً، بما في ذلك التفجيرات الانتحارية.[215] مع ازدياد عدد اللاجئين والمهجرين داخلياً، وحيث أن بلدات وأحياء بكاملها جعلها الدمار غير قابلة للسكن، فإن المجموعات المسلحة تخاطر في إبعاد نفسها عن قاعدتها الاجتماعية وأن تصبح مجموعات من المقاتلين الذين يتجولون بين الخرائب وآثار الدمار. عندما يأكل المقاتلون ويقاتلون ويصلّون معاً، فإنهم يشكلون على نحو متزايد وحدات معزولة منفصلة عن الحراك الشعبي الذي قدموا منه، ويصبحون في عالم خاص بهم، وبالتالي يصبحون أكثر عرضة للخروج عن السيطرة. ما يُذكر عن معدلات استنزافهم السريعة قد تعزز من قوة جيل ثانٍ من القادة الذين لا يمتلكون رؤية استراتيجية أو خبرة ـ وهي نقاط ضعف قد يسعون للتعويض عنها باستعمال العنف وتبني معتقدات أكثر تطرفاً. إنها نفس الديناميكية التي أصبحت تعرّف المجموعات المسلحة العراقية بعد عام 2006، ما أدى بها إلى التدمير الذاتي.

ظاهرياً، تبدو المجموعات السلفية على أنها المستفيد المباشر من الاتجاهات الحالية. تحتفظ رؤيتها بجاذبية لا يمكن إنكارها؛ حيث أنها تقدم شعوراً بالعمل لتحقيق هدف سامٍ في وقت يسوده قدر كبير من المعاناة والتشوش، وفي وقت انكشفت فيه جميع المقاربات ووجهات النظر البديلة ـ بما في ذلك المقاومة الشعبية كما في مصر وتونس؛ والتدخل الدولي على النمط الليبي؛ والجيش السوري الحر. في سياق ثورة تمر بمراحل متعددة وتتعلم من خلال المحاولة والخطأ، قد يكون أتى دور السلفية؛ حيث أنها توفر موارد كبيرة وقيّمة تتمثل في المزيد من الأموال، والأسلحة، والذخيرة والمقاتلين، وإمكانية الوصول إلى الخبرات المكتسبة في مناطق صراع أخرى؛ وهوية أكثر وضوحاً وخطاب أكثر جاذبية؛ إضافة إلى الشعور بتلقي الدعم من الأمة الإسلامية بأكملها. في وقت تصارع فيه المجموعات المسلحة من أجل البقاء ضد نظام قوي وشرس وتشعر بأنها معزولة وقد تم التخلي عنها، فإن مثل هذه الإيجابيات يمكن أن تحقق اختلافاً ملموساً وفورياً. وفي هذا السياق، يمكن للسلفية أن تشكل عباءة ملائمة ينضوي تحتها المنحرفون والمجرمون.

لكن كما رأينا فإن ثمة عوامل مقابِلة تعيها المعارضة جيداً. من شأن منظور أكثر أصولية أن يعمق الخطوط الفاصلة بين شرائح المجتمع السوري، ما سيؤدي إلى توترات مع الأقليات وكذلك مع النشطاء الليبراليين؛ ومع المؤسسة السنية التقليدية؛ ومع جزء كبير من العالم الخارجي. وهذه العقبات ذات كلفة مرتفعة بالنظر إلى المأزق الراهن الذي وصلت إليه المجموعات المسلحة وعدم قدرتها على الخروج من المأزق العسكري مع النظام. كان السلفيون أكثر حضوراً في اللحظات القصيرة والطارئة في أواخر تموز/يوليو عندما شنت معظم المجموعات المسلحة هجوماً واسعاً ضد نظام اعتقدوا خاطئين أنه في آخر أيامه؛ وكان إخفاقهم في تحقيق النصر عقبة كبيرة لا يستطيعون نكرانها.

بعبارة أخرى، ما يزال الوقت مبكراً للتنبؤ بما إذا كانت النزعة السلفية مجرد نزعة طارئة ومؤقتة أم أنه مقدر لها أن تبقى. لقد مر الصراع بعدد من المراحل والتحوّلات، ولذلك فما من سبب يدفع للافتراض بأن المشهد الحالي سيظل ساكناً لمدة طويلة. يمكن للحسابات داخل المعارضة أن تتغير، كما يمكن لطبيعتها أن تتغير. إذا نجح داعمو المعارضة الخارجيون في توحيد دعمهم وجعله مركزياً، فإن المعارضة قد تتوحد حول عدد من اللاعبين الرئيسيين؛ كما يمكن للمنافسة بين فصائلها المختلفة أن تزيد من انقساماتها؛ وفي مواجهة الضغوط الدولية لدفعها إلى التفاوض، يمكن أن تتطور بأشكال مختلفة يصعب التنبؤ بها.

هناك عدد من التصورات الخاطئة حول السلفيين في سورية. سيكون من الخطأ افتراض أن نفوذهم المتنامي هو نتيجة لجذورهم الاجتماعية العميقة أو للهوية الشعبية التي تمكنوا أخيراً من اكتشافها. وعلى نحو مماثل، سيكون من الخطأ أن تعزى إلى المناورات الخارجية ـ خصوصاً من قبل النظام العازم على تشويه صورة المعارضة، أو من قبل دول الخليج العربية، العازمة على تعزيز النفوذ الإسلامي. كما وصفت مجموعة الأزمات، فإن الصراع مر في عدة مراحل؛ وقد تعرض لتحولات عديدة؛ وهذا ينطبق أيضاً على النظام، وعلى العلاقات الطائفية وديناميكيات المجتمع المدني.[216] من بين التغيرات التي حدثت هو انتشار السلفية ـ التي تشكل منظوراً يستفيد من الظروف السائدة على الأرض ويقدم أجوبة مباشرة في حين أن البدائل الأخرى لا تستطيع فعل ذلك. كما يمكن رؤية تطور آخر مشابه في الأوساط الموالية للنظام، خصوصاً بين المقاتلين العلويين، الذين انحرف بضعهم نحو نزاعات عدمية، ومنغلقة والاحتفال بعبادة شخص بشار والعنف الذي يمارس باسمه. كلا التطوران مرعبان؛ لكنهما ليسا دائمان بالضرورة. إلا أن الخروج من هذه الحلقة المفرغة سيتطلب كسر المأزق العسكري الدموي ـ والعودة إلى السياسة.

دمشق/بروكسل، 12تشرين الأول/أكتوبر 2012

[215] يبدو أن هذا التكتيك يحظى بقبول متزايد؛ حيث أن مقاتلين من ريف حماة أخبروا مجموعة الأزمات بأن كثيرين قد تطوعوا، لكنهم أضافوا أن القرار باللجوء إلى الهجمات الانتحارية لم يتخذ بعد. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات أيلول/سبتمبر 2012.

[216] "الصراع وتحولاته في سورية"، مرجع سابق.

ملحق آ

خارطة سورية

Map No. 4204 Rev. 3 UNITED NATIONS
April 2012

Department of Field Support
Cartographic Section